بسم الله الرحمن الرحيم

ثقافة التقريب

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

العدد ٤٥ ـ صفر ١٤٣٢هجرية قمرية

بهمن ١٣٨٩هجرية شمسية / فبراير (شباط) ٢٠١١

- الآراء الواردة لا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجمع العالمي للتقريب
- تسلسل الموضوعات خاضع لاعتبارات فنية

المراسلات:

فاكس: ٨٨٣٢١٦١٦٩٨٢١ + هاتف: ٨٨٣٢١٤١١ ٩٨٢١ +

العنوان البريدي للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية:

الجمهورية الإسلامية في إيران – طهران – ص. ب: ٦٩٩٥ـ١٥٨٧٥

العنوان الالكتروني:info@taghrib.ir

الموقع: www.taghrib.ir

ثقافة التقريب

ملحق

رسالة التقريب

مجلة تثقيفية عامة تهتمّ بعرض الأفكار التي ترتبط بوحدة الأمة مباشرة أو بصورة غير مباشرة، مع التأكيد على ضرورة وضع المسلمين أمام مسؤولياتهم الكبرى في استعادة العزّة والكرامة واستئناف البناء الحضاري

الإشراف العام

الشيخ محمد علي التسخيري

هيئة التحرير

مجموعة من الكتّاب الرساليين المهتمين بمستقبل
الأمة الإسلامية وبوحدة الدائرة الحضارية للعالم الإسلامي

إعداد المجلة:

مركز الدراسات الثقافية الإيرانية العربية

www.iranarab.com

منهجنا في نشر المقالات

١ـ أن يكون المقال ما قلّ في الصفحات ودلّ على فكرة مفيدة في حقل التقريب وصحوة الأمة ووحدتها.

٢ـ للمجلة الحقّ في التلخيص وتعديل العبارات، دون أي مساس في المحتوى، كي يكون المقال منسجمًا مع الإطار العام للمجلة.

٣ـ يحقّ للكاتب أن يطلب عدم ذكر اسمه، وهيئة التحرير سوف تنشر مقالاتها دون ذكر كاتبيها تجنبًا لتكرار الأسماء.

٤ ـ ننشر أيضًا مختارات وعصارات مما كُتب في تراث التقريب.

٥ ـ المقالات والتعليقات التي تعارض هدف المجلّة سوف ننشرها أيضًا إذا كانت ملتزمة بأدب الاختلاف، مع الاحتفاظ بحقّنا في التعليق.

المحتوى

العدد ٤٥

أهداف النهضة الحسينية في كلمات السيد القائد ٤

انتصار الإسلام في إيران ١١

الأسس المشتركة في الثقافة الإسلامية ضمان للتقريب والوحدة ٢٢

الوعي الحضاري في تونس كما يصوره الشابي ٣٧

القضية الحسينية.. عمق إسلامي وتطلعات إنسانية ٤٧

الفتوة في التراث الفارسي سعدي الشيرازي نموذجًا ٦١

مشروع دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة ٨٧

دور الإسلام في التفعيل الحضاري ٩٥

قصيدة الشيخ أحمد الوائلي ١٠٢

قراءة في كتاب بحوث في فقه الحج للشيخ حيدر حبّ الله ١١١

أهداف النهضة الحسينية
في كلمات السيد القائد

• «على مستوى التبليغ والواقع، كان الهدف من نهضة الإمام الحسين (ع) إقامة الحق والعدالة: «إنما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر... ». نقرأ في زيارة الأربعين وهي من أفضل الزيارات عبارات حول الحسين(ع) تقول: «ومنح النصح، وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة وحيرة الضلالة». ذكر الإمام الحسين وهو في طريقه إلى كربلاء حديثًا معروفًا عن الرسول (ص) قال فيه: «أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم قال: من رأى سلطانًا جائرًا مستحلاً لحرام الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفًا لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقًا على الله أن يدخله مدخله». كل آثار الإمام الحسين وأقواله، والأقوال الواردة فيه عن المعصومين، تؤكد أن الغاية التي توخاها هي إقامة الحق والعدل والدين الإلهي وتكريس سيادة الشريعة وهدم صرح الظلم والجور والطغيان. الهدف هو مواصلة طريق الرسول الأكرم (ص) والأنبياء السابقين: «يا وارث

آدم صفوة الله، يا وارث نوح نبي الله... » ومن الواضح أن الغاية من بعث الأنبياء: ﴿ليقوم الناس بالقسط﴾. إقامة القسط والحق وتأسيس الحكم والنظام الإسلامي.

الشيء الذي منح الاتجاه لنهضتنا ويجب أن يمنحنا الاتجاه اليوم أيضًا، هو بالضبط ذلك الشيء الذي ثار الحسين بن علي (ع) من أجله. إننا اليوم نقيم مراسيم العزاء بكل وفاء لشهدائنا الذين استشهدوا في شتى الجبهات وفي سبيل هذا النظام وصيانته. الشهيد أو الشاب الذي استشهد في الحرب المفروضة أو في مواجهة مختلف صنوف الأعداء، لا توجد لدى جماهيرنا أية شبهة في أنه شهيد من أجل حفظ هذا النظام وهذه الثورة وتحكيم دعائمها. والحال أن وضع شهداء اليوم يختلف عن شهداء كربلاء الذين نهضوا بوحدة وغربة مطلقة ولم يشجعهم أحد على السير في هذا الطريق، بل نهاهم كافة الناس والشخصيات الإسلامية المعروفة، لكن إيمانهم وحبهم مع ذلك كان فياضًا إلى درجة أنهم ساروا واستشهدوا مظلومين غرباء. وضع شهداء كربلاء يختلف عن شهداء تدفعهم كل الأجهزة الإعلامية والمشجعات الاجتماعية إلى السير للجبهات والاستشهاد فيها. هؤلاء شهداء ذوو مكانة سامقة طبعًا، لكن أولئك شيء آخر.

أشكر جميع الإخوة والأخوات، وأرحب بكم جميعًا لا سيما عوائل الشهداء الكريمة والشباب واليافعين وهم ذكريات أعز أفراد المجتمع والبلاد وأعظمهم تضحيةً، وأرحب كذلك بالمعاقين

الأعـزاء وعوائلـهم، وبكـل الشـرائح الشـاعرة بالمسـؤولية حيـال قضـايا الـبلاد والثـورة. جمـيعكم تقريبًـا في هـذا الاجتمـاع أو أغلـبكم مـن الشـباب المتوثّـب ومـن آمـال حاضـر الـبلاد والثـورة ومستقبلها، ولكـم مشـاعركم ودوركـم ونصـيبكم في صـناعة مستقبل البلـد وحاضـره، وبينـكم أشـخاص يمكـن أن يكونـوا شخصيات محترمة وباعثة على الفخر والعزة للبلاد والشعب. من المناسب في هذا اللقاء أن نتحدث عن شعاع من النهضة الحسينية وتضحيات الإمام أبي عبد الله (عليه الصلاة والسلام) وأن نستلهم منه هذا الدرس، خصوصًا وأن الأيام أيام آخر شهر صفر ويكاد ينقضي هـذان الشـهران اللـذان تتكـرر فيهمـا واقعـة عاشـوراء. في إحـدى زيـارات الإمـام الحسـين (عليـه السـلام) الـتي تُقـرأ في يـوم أربعينه، ثمة عبارة عميقة المعنى تقول: «وبذل مهجته فيك ليستنقذ عبادك من الجهالة». إنها عبـارة تنطوي على فلسفة التضحية التي أبداها الحسين بن علي (ع). يقول الزائر لله تعالى: إن عبدك هذا (الإمـام الحسـين) بـذل دمـه لينقـذ النـاس مـن الجهالـة ومـن حيرة الضلالة. أراد إنقاذ الناس من التيه والحيرة والضلال. انظروا كم هي عميقة وذات معنى سامٍ ورفيع هذه العبارة».

* * *

• «من أقوال الإمام أبي عبد الله الحسين عليه الصلاة والسلام «اللهم إنك تعلم أن الذي كان منا لم يكن منافسةً في سلطان ولا التماس شيء من فضول الحطام» ... أي إلهي، هذه الخطوة التي

اتخـذناها، وهـذه النهضـة الـتي نهضـناها، وهـذا القـرار الـذي اتخذناه للخروج، أنت تعلم أنه لم يكن من أجل سلطة أو حكم. ولم يكـن هـدفنا منـالاً دنيويًا للتمتـع بحـلاوة الحيـاة ونعمائهـا، أو جمع الأموال وتكديس الثروات. لم تكن هذه أهدافنا. إذن ما هو الهدف والغاية؟ ذكر عليه السلام عبارات رسمت الخط والاتجاه لنـا. إنهـا الجهـة الحقـة في كـل أطـوار الـدعوة للإسـلام: « ولكـن لنُري المعـالم مـن دينـك»... مـن أجـل أن نرفـع رايـات الـدين للنـاس ونبصِّرهم بمعـالم الـدين. المعـالم والمؤشـرات مهمـة جـدًا. يسـتخدم الشيطان بين الجماعات المتدينة أسلوب التحريف دومًا ويدلهم على الطريـق بشـكل مغلـوط. لـو اسـتطاع أن يقـول لهـم «دعـوا الـدين جانبًـا» لفعل، ولكـن إذا تعـذّر عليـه ذلـك عمـد إلى تضـليل معـالم الدين. كما لو كنتم تسيرون في الطريق فترون علامة عملت يد خائنة إلى تبديل اتجاه تلك العلامة لتوجّهكم نحو الطريق الخطأ. جعـل الإمـام الحسـين (ع) هدفـه الأول: «لنُـري المعـالم مـن دينـك ونظهـر الإصـلاح في بـلادك». نريـد استئصـال الفسـاد وتكـريس الإصـلاح في البـلاد الإسـلامية. مـا معنـى الإصـلاح؟ معنـاه القضـاء على الفساد. وما هو الفساد؟ للفساد أنواع وأقسام: السرقة فساد، الخيانة فساد، التبعية فساد، الظلم فساد، الانحرافات الأخلاقية فساد، الانحرافات المالية فساد، العداوات بين الأصدقاء فساد، الميل لأعداء الدين فساد، إبداء الرغبة في الأمور الناقضة للدين فسـاد. يقـول في عباراتـه التاليـة: «ويـأمن المظلومـون مـن عبـادك»،

لكي يشعر عبادك المظلومون بالأمن والطمأنينة. الأمن على السمعة، الأمن المالي، الأمن القضائي، هذا الذي يفتقر له العالم اليوم. وحين تنظرون اليوم للوضع في العالم تلاحظون الشيء ذاته. ينكّسون رايات الدين، يزيدون من الظلم الذي يصيب عباد الله المظلومين، وينشب الجائرون أظفارهم في دماء المظلومين أكثر فأكثر. وهذا هو حال المسلمين المظلومين، «يأمن المظلومون من عبادك». الغاية من أية نهضة، والهدف من كل ثورة، والمبتغى من أية سلطة إسلامية، بل الهدف من سيادة الدين الإلهي أساسًا هو تحسين حال المظلومين والعمل بالفرائض والأحكام والسنن الإلهية. يقول الإمام الحسين أخيرًا: «ويعمل بفرائضك وأحكامك وسننك». هذه هي أهداف الإمام الحسين... «ويُعمل بفرائضك وأحكامك وسننك». أي إن الإمام الحسين (ع) ضحى بنفسه وبنفوس أطهر الناس في زمانه من أجل أن يعمل الناس بأحكام الدين، لماذا؟ لأن السعادة رهن العمل بأحكام الدين، ولأن العدالة كامنة في العمل بأحكام الدين، ولأن الحرية والتحرر الإنساني منوطان بالعمل بأحكام الدين. إنسان اليوم من حيث حاجاته الرئيسية لم يختلف أدنى اختلاف عن الإنسان قبل ألف عام والإنسان قبل عشرة آلاف عام. حاجات الإنسان الرئيسية هي أنه يريد الأمن، ويريد الحرية، ويريد العلم والمعرفة، ويريد الحياة المريحة. إنه ينفر من التمييز والظلم. هذه الحاجات الأصلية لا يمكن تأمينها إلا ببركة الدين الإلهي. حاجة البشرية اليوم أن

يرتفع الناتج الوطني الإجمالي في البلد الفلاني إلى كذا مليار، والحال أن هذا الناتج الوطني الإجمالي لا يمكنه تأمين طعام الكثير من أبناء ذلك المجتمع!! فهل هذا يكفي؟! هل ننشد نحن مثل هذا الوضع؟! ما فائدة أن يكون البلد ثريًا، ويكون فيه جياع كثيرون. يتمتع بإنتاج كبير ويسوده التمييز والتباين، وتكون فيه فئة يستطيعون بفضل تلك الثروة التي يمتلكها البلد أن يمارسوا الظلم تجاه أعداد كبيرة من أبناء بلدهم، ويتعسفوا في معاملتهم ويستغلوهم! هل من المناسب أن يعمل الإنسان لأجل هذا؟! هل يجب أن يضحي الإنسان لأجل هذا؟ التضحية إنما تكون في سبيل العدالة والحرية والغبطة وبهجة الروح الإنسانية، وهذه ظروف يضمنها الدين. التضحية مطلوبة لأجل تمتع الناس بالأخلاق الحسنة والفضيلة هذا ما ينبغي العمل له والدعوة إليه.

أعظم مهام الأنبياء الإلهيين مواجهة الطواغيت ومن يهدرون النعم الإلهية: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾. الآية القرآنية تذكر الحكومات الفاسدة بهذه التعابير المؤثرة. يسعون لتعميم الفساد وبثه في كل مكان. ﴿ أَلَمْ تَرَ إلى الذينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾. بدّلوا النعم الإلهية والإنسانية والطبيعية كفرًا، وأحرقوا الناس الذين ينبغي أن يتمتعوا بهذه النعم في جحيم من كفرانهم وجحودهم.

الأنبياء منقذو الإنسانية. لذلك ورد في القرآن أن إقامة العدل

هو الهدف الكبير الذي توخته النبوات والرسالات: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾. بل إن تنزيل الكتب الإلهية وإرسال الرسل كان أساسًا من أجل إقامة القسط والعدل في المجتمعات البشرية، والقضاء على رموز الظلم والعسف والفساد.

تحرك الإمام الحسين عليه السلام كان من هذا القبيل، وقد قال: «إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي» وقال: «من رأى سلطانًا جائرًا مستحلاً لحرام الله أو تاركًا لعهد الله، مخالفًا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، ثم لم يغيّر عليه بقول ولا فعل، كان حقًا على الله أن يدخله مدخله». أي إذا شاهد الإنسان بؤرةً من بؤر الفساد والجور ولم يكترث لها كان مصيره عند الله نفس مصير أولئك الجائرين المفسدين .

الإمام الحسين (ع) كان يعلم أنه إذا لم يخطُ هذه الخطوة فإن سكوته سيعود بالضرر الفادح على الإسلام. حينما تكون كافة إمكانات المجتمعات أو مجتمع من المجتمعات بيد سلطة تختار لنفسها طريق الطغيان وتسير فيه، إذا لم ينهض رجال الحق ودعاته بوجهها ولم يدينوا أخطاءها فسيكونون بذلك قد أيدوا ممارساتها».

انتصار الإسلام في إيران

بمناسبة مرور ٣٢ عامًا على الانتصار

يجمع المسلمون أن أكبر مهام رسول الله (صلى الله عليه وآله) تمثلت في إقامة مجتمع إسلامي خاضع لحاكمية الله.. رافض لحاكمية الطاغوت.. بل إن هذه مهمة جميع الأنبياء، مع فارق أن الرسالة الخاتمة وضعت الأسس العامة لتحقيق هذه الحاكمية بشكل شامل ومستمر.. شامل لكل مجالات الحياة، ومستمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

من هنا فإن الأمة المسلمة يجب أن تسعى دائما لإقامة حاكمية الله في الأرض ورفض حكومة الطاغوت، وإن أقامتها تتحمل مسؤولية الدفاع عنها وصيانتها وتثبيت شوكتها.

بعد عصر الغزو الاستعماري، سقط العالم الإسلامي فريسة بيد أعدائه، فمزقوه شر ممزق، واستهانوا بكرامته وسحقوا مقدساته، وفرضوا وجودهم وحاكميتهم في الحقل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي، حتى دب اليأس في كثير من النفوس بشأن عودة العزة الإسلاميّة، وغمرت الشكوك الأذهان في إمكان دخول الإسلام ثانية ساحة الحياة البشرية.

في هذا الجو المدلهم المفعم باليأس والقنوط تحرك شعب بقيادة فقيه ثائر ذائب في ذات الله فأقام دولة الإسلام في إيران.

لـئن اختلـف آراء الأنصـار والأعـداء في هـذه الدولـة فـإنهم لا يختلفون في إصرار قيادتها وقاعدتها على تطبيق أحكام القرآن والسنة على أساس من الاجتهاد المنفتح والأصيل.

ولا يختلفون أن كل ما واجهته هذه الدولة من عداء إنما هو بسبب هذا الإصرار على صعيد المناهج الداخلية والمواقف الدولية، وقد دفعت في سبيل ذلك ثمنا باهظا في الأموال والأرواح.

لا نريد أن نثني ونمدح، فليست هذه مهمة (ثقافة التقريب)، بل نريد أن نشير إلى إحدى محاور الحرب الهوجاء الضروس التي أضرمت ضد هذا الوجود الإسلامي الكبير، هو المحور الطائفي.

لقد حاولت هذه الدولة وتحاول إقامة مجتمع تخلو ظواهره من الفسق والفجور والخمر والميسر والسفور.. وهي محاولات تثلج صدر كل مسلم، شيعيًا كان أم سنيًا.

وتسعى في الحقل التشريعي لتطبيق القرآن والسنة في جميع مجالات التشريع، وهذا مطلب إسلامي جاهد من أجله كل المسلمين المخلصين على اختلاف مذاهبهم.

وتبذل الجهد في حقل الاقتصاد للقضاء على الربا والاحتكار والثراء الحرام، وهو هدف إسلامي لا يختلف فيه الإسلاميون بمختلف مذاهبهم.

وتتخذ على الساحة الدولية مواقف كلفتها الكثير كما قلنا للدفاع عن كرامة المسلمين وعزتهم وحقوقهم لا فرق في ذلك بين سنة وشيعة. وهو ما لا يخفى على أدنى متابع لقضايا فلسطين،

ولبنان، والبوسنة، وكشمير، والشيشان وغيرها من قضايا عالمنا الإسلامي.

ولو واصلنا عرض المجالات التي دخلتها محاولات الأسلمة من تعليمية وإعلامية وثقافية وغيرها من مجالات الحياة في إيران لاحتاج إلى مؤلفات.

ومع كل هذا التحرك الجبار في وسط كل هذا الركام الهائل من المشاكل والعقبات، نحو الإسلام..تحارب هذه الدولة باسم الطائفية!!

ليس من المستغرب أن تشعل نار هذه الحرب الدوائر المتضررة والخائفة المرعوبة من الإسلام، لكن المستغرب أن تساهم فيها رموز طالما تحدثت عن أحلامها وأمانيها في إقامة دولة الإسلام والمجتمع الإسلامي..طالما تحملت في حياتها ما تحملت من أجل العودة الإسلاميّة.

لا نقصد المنتقدين، فمجال انتقاد النقائص سوف يبقى ما دامت القيادة غير معصومة.. ولكن نقصد المهاجمين الذين لا يرون شيئا إلاّ من خلال ضباب كثيف كونته الطائفية والهزيمة النفسية التي خلقها إعلام المستكبرين.

ليس من الضروري أن يكون التحامل الطائفي بالاتهام والانتقاص فحسب، بل قد يكون أيضًا بتجاهل هذه الظاهرة الإسلاميّة الكبرى تمامًا، والسكوت عن التحدث بشأنها حتى حينما يدور الحديث حول الصحوة الإسلاميّة المعاصرة.

لا شك أن المعول الطائفي أسوأ ما أضر بعطاء الدولة الإسلاميّة المباركة على صعيد العالم الإسلامي، وسيبقى هذا المعول يخرب ويهدم حتى ترتفع الحالة النفسية لدى أبناء المذاهب الإسلاميّة المختلفة إلى مستوى أهدافهم الرسالية. وهذا الارتفاع هو هدف التقريب و(ثقافة التقريب).

وبمناسبة مرور ٣٢ سنة على انتصار الإسلام في إيران بقيادة الإمام الخميني (رضي الله عنه). ننشر مقالاً تحت عنوان:

من السيرة العملية للإمام الخميني

حسن علي باقري*

لدور الأسوة في تربية وتعليم الأمور من الأهمية مما لاينكره احد.

وقد جاءت الايآت الكثيرة في القرآن الكريم – كتاب بناء الإنسان والمعجزة الخالدة – في سور عديدة ومناسبات مختلفة حسب الاقتضاء تتحدث عن دور الصلحاء والأسوة في هداية البشرية إلى قيام يوم الدين وكان الرسول الأكرم محمد بن عبد الله(ص) على رأس هؤلاء.

لقد كان الامام الخميني رحمة الله عليه من أهم شخصيات

* - كاتب من ايران

عالمنا المعاصر الذي سعى ودعا إلى هداية الناس وكان الأسوة العملية للشخصية الإسلامية المجاهدة والزاهدة الرائدة والذي أوجد تغييرًا جذريًا في المجتمعات الإسلامية والأجيال المؤمنة المتعطشة لتطبيق العدل واتباع الحق. إن معرفة لحظات حياته المباركة وأقواله المؤثرة وأفعاله الخالصة تساعدنا كثيرًا في الفهم الحقيقي للحياة الطيبة التي ارتضاها الله لعباده المخلصين.

من اجل فهم جانب من حياة الإمام الخميني رحمة الله عليه من الممكن ان نستعين ببعض عبارات الإمام الخامنئي حفظه الله الذي كان يشكو دائما من عجز الألفاظ الواصفة لشخصية الامام الراحل والتي لم تؤد حق وصفه قائلاً:

«لقد عُجنت في شخصية الإمام الراحل العظيمة قوةُ الإيمان بالعمل الصالح، والإرادة الحديدية بالهمة العالية، والشجاعة الأخلاقية بالحزم والحكمة، وصراحة اللهجة والبيان بالصدق والمتانة، والصفاء المعنوي والروحاني بالذكاء والكياسة، والتقوى والورع بالسرعة والحزم، والأبُّهة والصلابة القيادية بالدقة والعطف و.. والحق أقول فإن شخصية الإمام الخميني فريدة وعزيزة، وعلو مقامه الإنساني بعيد عن التصور وفوق الأساطير وصعب المنال.

فهو العبد الصالح الخاضع لله، المتهجد الباكي في الأسحار والروح الكبيرة في الزمان هو المسلم الكامل والأسوة والمثل الأعلى للقيادة الإسلامية .. فقد قضى عمره وايامه وساعاته

ولحظاته بالمراقبة والمحاسبة وجسّد مئات الآيات القرآنية الواردة في توصيف المخلصين والمتقين والصالحين.

لقد أعطى للإنسان كرامة وللمؤمن عزة وللمسلمين قوة وشوكة، وللعالم المادي الميت معنوية وللعالم الإسلامي حركة وللمناضلين والمجاهدين في سبيل الله شهادة وشهامة، أفهم العالم بأن الوصول للإنسانية الكاملة وأن تكون علويّ السلوك ولتصل إلى قرب حدود العصمة ليس بأمر اسطوري».

وصية الامام الخميني الأخلاقية والعرفانية مخاطبًا ابنه المرحوم السيد أحمد (رحمه الله).

الوصيا الأخلاقية والعرفانية

بُني أحمد: حاول بالتفكر والتلقين أن تكون رؤيتك لجميع الموجودات وخصوصًا الإنسان مقرونة بالرحمة والمحبة. ألم تكن هذه الموجودات التي لا تحصى مشتملة لرحمة رب العالمين، فإذا لم يتحقق هذا الأمر فهو الدليل على النقص فينا وقصر الفكر والرؤية عندنا.

يا ولدي: إني قد كبرت وما استطعت أن أرفع هذا النقص وغيره عني ولكنك شاب وأقرب إلى ملكوت الحق، فاجتهد لترفع هذا النقص عنك.

يا بني: كفَّ عن السعي لتحصيل الدنيا حتى الحلال منها، لأن حب الدنيا حتى وإن كان حلالا رأس كل الخطايا، لأنه حجاب

كبير ويجر الإنسان إلى الحرام، وحب الدنيا أساس كل شقاء وهلاك وخراب، لأن حب الدنيا نتيجة لحب النفس وعصيان الله والابتلاء بالمعاصي والجنايات والخيانات هو من حب النفس، وحب الدنيا وزخرفها وحب المقام والمنصب والمال فرع لحب النفس. ونحن وأمثالنا لم نصل إلى الحجب النورية ولازلنا في قيد حجب الظلمات، فالشيطان الذي عصى الله ولم يخضع لآدم قد كان أسيرًا في حجاب العظمة الذاتية المظلم، وليس أصعب من أن تكسر هذا الصنم (صنم النفس) فهو الصنم الأم، ومادمنا نخضع لهذا الصنم ونطيعه لايمكننا أن نخضع لله ونطيعه.

فشيطان الباطن يخدعنا نحن الشيوخ بطريقة ويخدعكم أنتم الشباب بطريقة أخرى، يخدعنا باليأس والقنوط ويبعدنا عن ذكر الله ويخدعكم بأن زمن الشباب زمن اللّذة والاستمتاع، ويستدرجكم إلى شباكه بإبعادكم عن الله. ومن أكبر مكائد الشيطان أن يعيش الإنسان على أمل شفاعة الأولياء والتوبة المتأخرة والتجري بالمعصية والاغترار برحمة الله.

بنيَّ: لهذا وردت أدعية المعصومين(ع) والتي هي المرشدة إلى معرفة الله والفاتحة لنا طريقة العبودية والرابطة بين العباد وخالقهم، والتي تشتمل على المعارف السماوية وهي وسيلة الأُنس بالله وتراث آل الوحي ونموذج من حالة أصحاب القلوب وأرباب السلوك.

ياليتنا نستيقظ من النوم وندخل في أول منزل الذي هو منزل اليقظة.

وياليت أن الله بعناياته الخفية يأخذ بأيدينا ويهدينا نحوه.

وياليت أن هذا الفَرَس الجموح يتأهل وينزل عن كرسي الإنكار.

وياليتنا نضع الحمل الثقيل أرضا ونرحل اليه مخفّين.

وياليتنا نحترق كالشمع حول جماله صامتين.

وياليتنا نتقدم خطوة بقدم الفطرة ولم نطأ بأقدامنا على الفطرة، وكثيرًا من الأماني و«ياليت» التي أتمناها وأنا في سن الشيخوخة واليد قصيرة ولم تصل إليها.

ولدي: إن التوبة وإصلاح النفس وتربية الباطن من الشباب أسهل وأسرع، والأهواء النفسانية والاستعلاء وحب المال وتورّم الذات لدى الشيوخ أكثر.

فروح الشباب لطيفة وقابلة للانعطاف، فنسبة تخلّص الشاب من شرار النفس أكبر، ولجوئهم إلى جانب المعنى أهون فتأثر الشباب في المجالس الأخلاقية والاتعاظ أكثر من الشيوخ فلا تفوتك الفرصة واسعَ لإصلاح نفسك في شبابك.

تأدية حقوق الناس

ولدي: فليكن سعيك أن لا تخرج من هذه الدنيا وعلى عاتقك حق من حقوق الناس، وإلا سوف تكون الحالة عصيبة هناك.

فالتعامل مع الله أرحم الراحمين أهون بكثير من التعامل مع الناس.

مساعدة المظلومين

ومن الأمور المهمة التي أوصيك بها أن تعين عباد الله، أخص بالذكر المحرومين والفقراء الذين ظلموا في مجتمعاتهم، وليس لهم من معين فاسع بكل مالديك من قدرة على مساعدتهم؛ لأنه أفضل الأعمال عند الله وأفضل زاد لك ليوم فقرك.

الارتباط بالقرآن

ولدي: تعرّف على القرآن فهو أكبر كتاب للمعرفة ولو بالتلاوة، وافتح لك طريقًا إلى ذلك المحبوب، ولا تظن أن القراءة من دون المعرفة لا أثر لها فهذا الظن هو من وساوس الشيطان، لو سجدنا جميع لحظات حياتنا لنشكر الله على نعمة القرآن لما استطعنا.

المداومة على قراءة سورة الحشر

ولدي: اقرأ سورة الحشر المباركة ففيها معادن المعرفة والتربية وتستحق أن يتدبر الإنسان آياتها دهرًا، وزود نفسك منها بالعون الإلهي، وخُصّ بالذكر الآيات الأخيرة من السورة كآية:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وإن كانت قليلة الألفاظ لكنها غزيرة المعاني لأنها موقظة وبناءة.

انتخاب الأصدقاء الورعين والملتزمين

إن من وصاياي وأنا على شرف الموت ملتقطًا أنفاسي الأخيرة، أن تعاشر رفاقًا من الأتقياء والملتزمين والراغبين بالمعنويات، بعيدين عن حب الدنيا وزخارفها ومجالسهم بعيدة عن المعاصي، متخلّقين بالأخلاق الكريمة لأن التأثير والتأثر متقابلين في الإصلاح والإفساد، وحاول بأن تبتعد عن مجالس الغفلة.

ضرورة العمل السياسي

ولدي: انتفع في شبابك واقض عمرك بذكر الله، وذكره لا يغاير النشاط السياسي والاجتماعي لخدمة الدين وعباد الله. بل يعينك في مسيرتك.

الانزواء

ولدي: إياك أن تترك خدمة العباد وتعتزل الحياة وتكون كَلاًّ على الناس، فإنها من صفات جهال المتنسكين والدراويش أصحاب الدكاكين.

بُني: لا الاعتزال الصوفي دليل على الالتحاق بالحق ولا الدخول

في المجتمع وإقامة الدولة دليل على الانقطاع عن الحق. والميزان هو النوايا في الأعمال كم من عابد وزاهد وقع في شباك إبليس.

تقبّل موعظة الله الفريدة بجوانحك وجوارحك وانتهج السير عليها بكل ما تملك من قوة ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ﴾. فالميزان في النهج هو القيام لله سواء في الأمور الفردية أو النشاط الاجتماعي، ولدي كن على اعتقاد بأن الله وحده هو المؤثر وكل الأمور بيده».

الخميني حيّ في تكبير المجاهدين المسلمين، حي في صلابة إرادة الشعوب المظلومة، حي في إيمان ويقظة الجيل الشاب المعاصر في دنيا الإسلام، حيّ في نور أمل المستضعفين والمظلومين، حيٌّ في حرقة قلوب العارفين، حيّ في عودة الحياة المعنوية والقيم الأخلاقية في العالم، حيّ في جميع مظاهر الجمال الباهر التي خلقتها حركته الثورية الصانعة للتاريخ في العصر الراهن.. وهو أخيرًا حي في قلوب كل واحد من عشاقه وأتباعه. الأعداء الموتورون الحاقدون على الثورة كانوا يعدّون الأيام انتظارًا لفقده كي يغتنموا فرصة غياب هذا الرائد اليقظ والحارس المقتدر ويتجاسروا على ميراثه أعني الجمهورية الإسلامية في إيران والصحوة الإسلامية العالمية. لكن ما تحلّى به الشعب الإيراني الكبير من يقظة ثورية وإيمان متفتّح ووفاء عميق لدن التشييع الفريد لجثمانه ولدن الحداد التاريخي عليه، وما أعقبه من حوادث،وما أبدته الشعوب المسلمة في آسيا وأوربا وأفريقيا من ارتباط عميق بالشعب الإيراني وبإمامه الفقيد قد بثت اليأس في نفوس الأعداء، وبددت أحلامهم وجعلتها هباءاً منثورًا.

الإمام الخامنئي

الأسس المشتركة في الثقافة الإسلامية

ضمان للتقريب و الوحدة

محمد علي التسخيري*

• الإسلام سمح بالاجتهاد لأنه دين واقعي فطري • مبدأ الأخوّة الإسلامية ينظّم مجمل العلاقات الاجتماعية • التقريب يضمّ مختلف الجوانب الفكرية والحضارية • المساحات المشتركة تصل إلى أكثر من ٩٠ بالمائة • لا يوجد في الإسلام نهي عن الاختلاف في الآراء، بل نهي عن التنازع الذي يُذهب القوّة • مسألة التكفير من المصائب التي ابتُلي بها تاريخنا • الحوار هو الأسلوب السليم لنقل الفكر إلى الآخرين • النصوص الإسلامية في النهي عن السب واللعن معروفة • لكل مذهب الحق في توضيح آرائه دونما تهويل أو تجريح • تعود كثرة المشتركات إلى الوحدة المعرفية لدى المسلمين.

* - الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية.

لقد وضع علماء وشخصيات كبيرة في أواخر الأربعينات من القرن الميلادي الماضي اللبنات الأولى لحركة التقريب المباركة وجاهدوا حقًا في تبيين معالمها وكتبوا العديد من المقالات لترسيخها في النفوس ، بعد أن أصّلوها وبينوا جذورها الشرعية وضرورتها المتنامية.

ونحن سعداء حقًا اذ نجد هذه البذرة قد نمت وتحولت إلى شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكُلُها كل حين بإذن ربها.

الأسس

إننا نعتقد أن الايمان بمسألة (التقريب) يتأتى بكل منطقية إذا لاحظنا الاسس التالية التي تؤمن بها كل المذاهب الإسلامية دون استثناء وهي:

أولا: الإيمان بأصول الإسلام العقائدية الكبرى وهي: التوحيد الإلهي (في الذات والصفات والفعل والعبادة) وبالنبوة الخاتمة لرسول الله(ص) والقرآن الكريم الذي جاء به ومافيه ، والمعاد يوم القيامة .

ثانيًا: الالتزام الكامل بكل ضروريات الإسلام وأركانه من الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها.

ثالثًا: الالتزام الكامل بأن الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة هما المصدران الأساسيان لمعرفة رأي الإسلام في شتى الأمور: المفاهيم (عن الكون والحياة والإنسان: ماضيه وحاضره

ومستقبله في الحياتين)، والأحكام والشريعة التي تنظم حياته وسلوكه الفردي والاجتماعي. أما الأصول والمصادر الأخرى كالعقل والقياس والإجماع وأمثالها فهي لا تملك أية حجية إلا إذا استندت إلى ذينك المصدرين الكريمين واستمدت مصدريتها منهما.

فإذا ثبت عدم الاستناد في الأصل إليهما فضلا عما إذا ثبتت مخالفة الرأي أو المنقول عنهم للكتاب والسنة فإنه يرفض لامحالة.

وقد صرح أئمة المذاهب جميعًا بهذه الحقيقة بوضوح وأنهم يستقون من هذين المصدرين لاغير.

فقد وردت روايات كثيرة عن أهل البيت(ع) تؤكد ذلك من قبيل قول الإمام الصادق:

«كل شيء مردود إلى الكتاب والسنة».

ويقول الإمام مالك بن أنس:

«إنما أنا بشر أصيب وأخطئ فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة».

ويصرح الشافعي بما يقرب من هذا.

رابعًا: الالتزام بأن الإسلام سمح لعملية الاجتهاد باعتبارها عملية (بذل الوسع لاستنباط الحكم الشرعي من مصادره) أن تكون هي الموصلة لمعرفة الإسلام. كما أنها تلعب دورها في تأكيد مرونة الشريعة وقدرتها على استيعاب التطورات الحياتية

طبقًا لمعايير وضوابط معينة. وهذا يعني بالضرورة إمكان إيجاد الصلة بين مختلف النتائج التي أدى إليها الاجتهاد، وبين الإسلام حتى لوكانت مختلفة ومتضادة فيما بينها وذلك لاختلاف الأفهام وزوايا النظر والقناعات (وهو مايدرس في العلوم الإسلامية تحت عنوان: أسباب الخلاف).

وإننا نرى أن الإسلام إذ سمح بذلك فلأنه دين واقعي فطري فلا طريق لمعرفة اية شريعة ممتدة على مدى العصور ينقطع وحيها ويموت معصومها إلا طريق الاجتهاد رغم أن هذا الطريق يبتلى أحيانًا بالذاتية ويفرز آراء متخالفة قد لا يطابق بعضها واقع المراد الإسلامي في علم الله تعالى.

كما أننا نجد أن هذا الأسلوب المنطقي يعم استنباط كل الأمور كالعقائد، والمفاهيم (وهي تصورات تقوم على أساس العقائد من جهة وتتصل بالواقع مباشرة من جهة أخرى، من قبيل مفهوم الخلافة الإنسانية لله تعالى) والأحكام بل وحتى المواقف الإسلامية من بعض القوانين الطبيعية.

خامسًا: إن مبدأ (الوحدة الإسلامية) يعبر عن خصيصة مهمة من خصائص هذه الأمة المباركة، وبدونها لا يمكن لها أن تدعي اكتمال هويتها. وقد وضع الإسلام خطة متكاملة لتحقيق هذه الوحدة بانيًا لها على أساس الاعتصام بحبل الله المتين (وهو كل سبيل معصوم يوصل إلى الله) ومؤكدًا على وحدة الأصل والخلق ووحدة الهدف ووحدة الشريعة والمسير، داعيًا إياها للدخول

المجموعي في إطار التسليم الكامل لله ونفي خطوات الشيطان، ومذكرًا بآثار الوحدة، وغارسًا الأخلاقية وعناصر التضحية بالمصالح الضيقة في سبيل الهدف العام، حاذفًا كل المعايير المزقة كاللغة والقومية والوطن والعشيرة واللون، ومركزًا على المعايير الإنسانية كالعلم والتقوى والجهاد، ومؤكدًا على لزوم تحري نقاط اللقاء وداعيًا إلى استخدام المنطق السليم؛ منطق الحوار الهادئ الموضوعي، إلى ما هنالك من عناصر آثرنا ألا نذكرها ولا نستشهد لها لوضوحها ولئلا يطول بنا المقام.

إن الايمان بهذا المبدأ له مقتضياته التي سنشير إليها إن شاء الله تعالى فيما بعد ولكنه يعد من ركائز حركة التقريب.

سادسًا: مبدأ الأخوة الإسلامية: وهو جزء من الخطة التي أشرنا اليها أعلاه ولكنا آثرنا التركيز عليه لأنه أهم جزء، ولأنه ينظم مجمل العلاقات الاجتماعية في الإسلام، ولأننا نعتقد أن آثاره لا تقتصر على الجوانب الأخلاقية فحسب بل تتعداها إلى الجوانب التشريعية، وتترك أثرها الكامل على عملية الاجتهاد نفسها، لكي لا نشهد في هذه الساحة أحكامًا تتناقض معه.

هذه الأسس الخمسة هي أهم مايمكن أن تبتني عليه حركة التقريب فيكاد التصديق بالأسس يؤدي بشكل منطقي عفوي للإيمان بهذه الحركة.

ومن هنا فنحن نعتقد أن التقريب لا يقتصر على الجوانب الأخلاقية أو الجوانب الشعارية، ولا يتحدد بالجوانب التشريعية

أيضًا، بل يعبرها إلى مختلف الجوانب الفكرية والحضارية. وينبغي أن تشترك فيه كل النخبة المفكرة الفقهية والفكرية، بل يجب بشكل كامل وربما بشكل أولى أن تعبر النخبة إلى الجماهير، فيبدأ تثقيفها بثقافة التقريب. لأن الإسلام إن كان يسمح بالاختلاف الفكري غير المخرب والطبيعي فإنه لا يسمح مطلقًا بأدنى خلاف في الموقف العملي من القضايا المصيرية الداخلية والخارجية، ولذلك يعتبر الراد على الحاكم الشرعي (وهو الجهة التي يفترض بها أن تكون الموحدة للموقف العملي للامة) رادًا على الله بعد أن اقترنت طاعته بطاعة الله ورسوله.

المبادئ والقيم التي ينبغي أن يلتزم بها التقريبيون

وبناء على تلك الأسس وتبعًا لما أعلنه العلماء والدعاة التقريبيون، فإننا ندعو للقيم التالية معتبرين إياها خطوطًا عامة للسياسات التي ينبغي أن يراعيها الخط التقريبي ليحقق أهدافه المرجوة:

الأول: التعاون في ما اتفقنا عليه

والمتفق عليه في مختلف المجالات كثير جدًا. فللمذاهب الإسلامية مساحات مشتركة كثيرة سواء كانت في الأصول العقائدية أو في المجالات التشريعية (والتي يصل بها بعض العلماء إلى اكثر من ٩٠٪ من المساحة العامة) أو في المجالات الأخلاقية

حيث التوافق يكاد يكون كاملاً، وكذلك في مجال المفاهيم والثقافة الإسلامية وحتى في المسيرة التاريخية والحضارية طبعًا في مفاصلها الرئيسية رغم الاختلاف في تقييم المواقف المعينة. أما المواقف العملية فهم يتفقون جميعًا على لزوم توحيدها عبر التكاتف والتكافل الاجتماعي وعبر وحدة القرار الاجتماعي الذي تتكفله جهة ولاة الأمور الشرعيين. ولاريب أن التعاون في المشتركات الفكرية يعني التعاضد في تركيزها في الأذهان، وتجنب كل مايؤدي إلى نقضها، وبالتالي تعميقها في مجمل المسيرة. أما التعاون في المجالات المرتبطة بالسلوك الفردي والاجتماعي والحضاري فواضح وتنضوي تحته المجالات الحياتية المختلفة من قبيل:

تطبيق الشريعة الإسلامية، تعظيم الشعائر الإلهية كالجمعة والحج، وتحقيق خصائص الأمة الإسلامية كالوحدة وهكذا.

وهنا نشير إلى أن حركة التقريب يجب أن تبذل قصارى جهدها لاكتشاف المساحات المشتركة هذه وتوعية الجماهير وأحيانا نضطر إلى توعية النخبة أيضا بها ، كما تعمل على توسعة نطاق هذا الجانب المشترك عبر الإشارة مثلا إلى كون النزاع والخلاف لفظيًا لا جوهريًا، أو عبر التوعية بأسلوب ثالث يشترك فيه، المختلفان.

الثاني: التعذير عند الاختلاف

مادمنا نؤمن بانفتاح باب الاجتهاد، وهي الحالة الطبيعية التي

لا يمكن إغلاقها بقرار، ومادامت أسباب اختلاف النتائج الاجتهادية قائمة وطبيعية، فمعنى ذلك الرضا باختلاف الآراء والفتاوى، ومن الجدير بالذكر هنا أننا لا نجد نهيًا إسلاميًا عن الاختلاف في الآراء وإنما ينصب النهي على التنازع العملي المذهب للقوة، والتفرق في الدين والتحزب الممزق وأمثال ذلك. وهذا يعبر عن عقلانية الإسلام ومنطقيته.

وعليه فيجب أن يوطن الفرد المسلم عالمًا أو متعلمًا، مجتهدًا كان أو مقلدًا على تحمل حالة المخالفة في الراي وعدم اللجوء إلى أساليب التهويل والتسقيط وأمثالها. وحينئذ يكون الخلاف أخويًا وديًا (لا يفسد للودّ قضية).

ونشير هنا إلى ورود نصوص كثيرة تدعو المؤمن للصبر والمداراة وسعة الصدر ويمكن عكسها على واقعنا الحالي. ونحن نذكر هنا هذا النص عن الإمام الصادق(عليه السلام) حيث جرى ذكر قوم فقال الراوي: إنا لنبرأ منهم، إنهم لا يقولون مانقول، فقال الإمام: يتولّونا ولا يقولون ماتقولون، تبرأون منهم؟! قلت: نعم قال: هو ذا عندنا ماليس عندكم فينبغي لنا أن نبرأ منكم... إلى أن قال: فتولوهم ولا تبرأوا منهم: إن من المسلمين من له سهم، ومنهم من له سهمان .... فليس ينبغي أن يحمل صاحب السهم على ماعليه صاحب السهمين...».

وتعامل أئمة المذاهب فيما بينهم مثال رائع على هذه الحقيقة. وسيطول بنا الحديث لو تعرضنا لما يرويه التاريخ عن ذلك.

كما أننا نجد هؤلاء الأئمة لايسدون باب الاجتهاد على غيرهم بل يحرّمون اتّباع رأيهم لو ثبت لدى أحدٍ دليل على خلافه.

وسنكتفي بذكر الأقوال التالية:

عن الإمام مالك بن أنس:

«إنما أنا بشر أصيب وأخطئ فاعرضوا قولي على الكتاب والسنة».

ويقول الإمام الشافعي:

«إذا صح الحديث بخلاف قولي فاضربوا بقولي الحائط».

ويقول الإمام أبو حنيفة:

«هذا رأيي وهذا أحسن ما رأيت فمن جاء برأيٍ غير هذا قبلناه، حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي».

ويقول الإمام أحمد بن حنبل:

«من ضيق علم الرجال أن يقلدوا الرجال».

وهذا بالضبط ما أكد عليه العلماء الكبار بعد ذلك.

الثالث: تجنب التكفير والتفسيق والاتهام بالابتداع

ونحن نعتبر مسألة التكفير من المصائب التي ابتلي بها تاريخنا فرغم النصوص الشريفة التي تحدد مفهوم المسلم من جهة وتمنع من التكفير للمسلم من جهة أخرى شاهدنا من يؤلف كتابًا ويرى أن مخالفة حرف واحد فيه تؤدي إلى الكفر وهذا أمر غريب!!

ومن هنا فنحن ندعو إلى التحول بالمسألة من (الإيمان والكفر) إلى مرحلة (الصواب والخطأ) متحلّين في ذلك بروح القرآن التي تدعو إلى الموضوعية حتى في النقاش مع الكفار الحقيقيين حينما يخاطب الرسول أن يقول لهم: ﴿ وَإِنَّا أو إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أو فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾.

الرابع: عدم المؤاخذة بلوازم الرأي

من المنطقي أن يحاسب الإنسان على رأيه، ويناقش بكل دقة وأناة. إلا أننا اعتدنا على مناقشات تبتني على لوازم الآراء، وبالتالي يأتي التكفير والاتهام بالابتداع في حين أن صاحب الرأي قد لا يقبل تلك الملازمة. وكمثال على ذلك نجد البعض ممن يؤمنون بمسألة التحسين والتقبيح العقليين يصفون من لا يقبلون بهما بأنه أمر يغلق باب الإيمان بصدق النبي استنادًا إلى أن مايدفع احتمال كذب النبي الآتي بالمعجزة هو حكم العقل بقبح إجراء المعجزة على يد الكاذب عقلاً ، فإذا فرضنا عدم وجود أي تقبيح عقلي فمعنى ذلك أننا أغلقنا باب الإيمان بالنبوة، وهكذا يقال بالنسبة لمسألة طاعة الله تعالى فإن الملزم لنا بإطاعته تعالى هو العقل لاغير.

وعلى هذا الغرار نجد البعض الآخر يتهم القائلين بالتوسل، أو الشفاعة، أو القسم بغير الله بالشرك لأنه لازم لهذا القول وهلمّ جرّا.

إن المناقشة العلمية الهادئة أمرٌ مطلوب. ولسنا مع إغلاق باب

البحث الكلامي مطلقاً بل المنطق يقتضي فتحه، ولكننا ندعو للمناقشة المنطقية فلا ننسب للآخر مالم يلتزم به، ومادام لا يؤمن بالملازمة بين رأيه والرأي الآخر فإننا نلتمس له العذر. وبهذا نستطيع أن نغلق بابًا واسعًا من الاتهامات الممزقة .

الخامس: التعامل باحترام عند الحوار

ذلك أننا نعلم أن الحوار هو المنطق الإنساني السليم في نقل الفكر إلى الآخرين، وأن القرآن الكريم طرح نظرية رائعة للحوار المطلوب تناولت مقدمات الحوار وظروفه وأهدافه ولغته بشكل لا مثيل له، وكان مما تناوله مسألة الاستماع للآراء واتباع أحسنها، ومسأله عدم التجريح حتى أن الآية الشريفة تقول ﴿ قُل لا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ، في مجال توجيه حوار الرسول مع غير المؤمنين بالإسلام وإبعاده عن مسألة إثارة حزازات الماضي والاتهامات المتبادلة فيه والتوجه لمنطقية الحوار نفسه، وهي تراعي حتى التعبير، فلم تقل ولا نسأل عما تجرمون ، احترامًا للطرف الآخر مع أن السياق اللفظي كان يتناسب معه. فكيف بنا ونحن نتحاور كمسلمين متفقين على المبادئ التي أشرنا إليها في إشارتنا لأسس عملية التقريب.

هذا وقد جاء في الحديث «بحسب امرئٍ من الشر أن يحقّر أخاه المسلم».

السادس: تجنب الإساءة لمقدسات الآخرين

والحقيقة هي أن هذا الأمر يتبع المبدأ السابق بل هو في الواقع أولى منه، لأنه يخلق جوًا عاطفيًا معاكسًا، ويفقد الحوار توازنه المطلوب. وقد رأينا القرآن ينهى عن هذه الحالة فيقول تعالى: ﴿وَلاَ تَسُبُّواْ الذينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّـهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إلى رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ بهذه الروح الإنسانية يوجه الله(تعالى) المؤمنين في تعاملهم بعد أن يوضح لهم وظائفهم الدعوية لا التحميلية وفرض الراي على الآخرين حتى لو كانوا مشركين: ﴿ وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾.

والنصوص الإسلامية في النهي عن السب واللعن معروفة. فإذا كان هذا هو الحال مع المشركين ، فكيف يكون الأمر بين مسلمين أخوين يعملان لهدف واحد ، ويشعر كل منهما بآلام الآخر وآماله؟! فإن الموقف لا يتحمل مطلقًا احتمال الإهانة ، وخصوصًا للأمور التي يؤمن الآخر بقدسيتها لارتباطها بمعتقداته الأصيلة.

السابع: الحرية في اختيار المذهب

ذلك أننا بعد أن اعتبرنا المذاهب نتيجة اجتهادات سمح بها الإسلام، علينا أن نعدها سبلاً مطروحة للإيصال إلى مرضاة الله تعالى. وحين تختلف فإن من الطبيعي أن يدرس المسلم هذه المذاهب

وينتخب الأفضل منها وفق معاييره التي يؤمن بها، والتي يشخص من خلالها أنه أبرأ ذمته أمام الله وأدى أمانته وعهده. وحينئذ فليس لأحد أن يلومه على اختياره حتى ولو لم يرتح لهذا الاختيار. كما أنه لا معنى لإجبار أحد على اختيار مذهب ما ، لأن ذلك مما يرتبط بالقناعات الإيمانية ، وهي أمر لا يمكن الوصول إليه إلا بالدليل والبرهان.

وهنا أؤكد أن لكل مذهب الحق في توضيح آرائه ودعمها دونما تعد على الآخرين أو تهويل أو تجريح ، فلا ندعو إلى إغلاق باب البحث المنطقي السليم في العقيدة أو الفقه أو التاريخ ، وإنما نرفض محاولات الاستغلال السيء، والاستضعاف ، والجدال العقيم، وفرض الرأي وأمثال ذلك.

الأسس المشتركة في الثقافة الإسلامية عمومًا

وإذا كانت الأسس الماضية تؤدي بطبعها للتقريب بين المذاهب الإسلامية فانها بطبعها أيضا تصوغ نفسية المسلمين جميعًا وتشكل الأرض المناسبة الواحدة لثقافتهم. ولذا لاتجد بين المسلمين ــ أينما كانوا ومهما اختلفت قومياتهم ومناطقهم وخلفياتهم التاريخية ولغاتهم وعاداتهم المحلية ــ فرقًا في الثقافة العامة.

إن الثقافة العامة يمكن تلخيصها ــ كما يقول المفكر الإسلامي (مالك بن نبي) في مطلع كتابه *مشكلة الثقافة* ـ بأنها

«لاتضم في مفهومها الأفكار فحسب، وإنما تضم أشياء أعم من ذلك كثيرًا تخص أسلوب الحياة في مجتمع معين من ناحية كما تخص السلوك الاجتماعي الذي يطبع تصرفات الفرد في ذلك المجتمع من ناحية أخرى».

ووفق هذا التصور نستطيع القول بأن الثقافة هي (الفكر والعمل الفردي والاجتماعي) وهما أمران يصوغهما الإسلام ويطبعهما بطابع عالمي إنساني لايتغير إلا بتفاصيله. ومن هنا نجد:

أولاً: إن الفكر الإسلامي أينما كان يتميز بالإلهية والاتجاه نحو الله تعالى في كل الحالات، والتوكل عليه، واستمداد الهدى منه.

ثانيًا: إن الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية للمسلم تتشكل بمقتضى التعاليم القرآنية حتى أنك لتجد المسلم العادي في مختلف أحواله وبمستوى ثقافته يتمتم بالآية الكريمة أو الحديث الشريف ليفسر وضعه الذي يعيشه من نعمة أو بؤس أو فرح أو حزن.

ثالثًا: إن الحياة التعبدية بالمعنى الخاص للعبادة واحدة في الشكل والمضمون واللغة ـ وإن اختلفت اللهجات .

رابعًا: وحدة المشاعر والأحاسيس والعواطف تجاه المفاهيم والحوادث.

خامسًا: وحدة الطرق العامة للعيش، المأكل والملبس والسلوك الفردي والاجتماعي، وإن اختلفت التفاصيل.

سادسًا: الشعور العام لدى المسلمين بالترابط الكوني

والتشريعي، فالظلم نتيجته الانهيار الحضاري، والشكر نتيجته الرخاء والعزة مثلاً.

سابعًا: التوازن العام في الشخصية لدى المسلم فلاهو جبري، ولا هو تفويضي بل هو يدرك ـ مهما كان ساذجًا ـ إنه مسؤول عن ما يفعل فهو حر، ولكنه يدرك أيضا دور الإرادة الإلهية في مسيرته العامة.

ثامنًا: الإيمان الفردي بالواجبات الاجتماعية تجاه المسلمين جميعًا والإيمان الاجتماعي تجاه كرامة الفرد وحديثه.

تاسعًا: الإيمان بالفطرة الإنسانية وتميز الإنسان عن الحيوان والجمادات، مما ينتج مقولات إنسانية كالحق والخلق والعدالة ويفرزها عن الحياة الحيوانية.

وهكذا نستطيع أن نستمر في تعداد هذه المشتركات الثقافية. وليس ذلك إلا لوحدة الأسس المعرفية لدى المسلمين.

فلنعمل على تقوية الأسس، وتوضيح ما ينبثق منها، وتركيزه في نفوس المسلمين. ولنوضح هذه الثقافة الإنسانية للآخرين.

تحية لنهضة الشعب التونسي

الوعي الحضاري في تونس كما يصوّره الشابي

• الشابي: اليوم هبت في صدور المسلمين آمال جميلة ناعمة • إن الضباب جلباب الصباح الجميل • أنا على يقين من أنه لا بد أن يأتي ذلك اليوم الجميل الذي تتزن فيه تعابير الأمة الإسلامية، فتخرج جميلة المقاطع • لقد أخذت الحركات الدينية تسعى في سبيلها الأقوام بقدم راسخة وعزم وثيق • لقد كان لحضور الصحوة في فكر الشابي أن انطلق منها نحو نهضة في الشعر والأدب، لما بين النهضة الشعورية والنهضة الشعرية من ارتباط • الشابي: الخيال ضروري للإنسان لا بد منه • الناس يتفاوتون في إدراك الجمال والشعور به على حسب قوة هاته الغريزة الشاعرة أوضعفها • تتكشف بعض النفوس عن عبقريات جبارة عاصفة على حين أن البعض الآخر لا يلد غير الغباوة المستخذية النائمة.

تونس من أولى بلدان المغرب العربي التي استيقظت فيها روح إسلامية حضارية، وكان ذلك على أثر اتصال تونس بحركة السيد جمال الدين الأفغاني.

هذه الروح نجدها في خطاب الشابي وهو يتحدث عن صورة العالم الإسلامي في عصره، وعن آثار هذه اليقظة في بلاده تونس.

ولابد من نقل مقال هام كتبه الشابي في هذا الصدد إذ يعتبر وثيقة تعبّر عن مشاعر الشابي بشأن ماكان يراه في أمته وبلاده آنئذ من وعي. يقول تحت عنوان «اليقظة الإسلامية الحاضرة»:

«اليوم هبت في صدور المسلمين آمال جميلة ناعمة، وأشواق نبيلة باسمة، ما كانت تهب لولا عواصف الدهر الجافة التي ما زالت تندفع تحلم بفجر رقيق معسول تتندى حواشيه، وتأتلق آفاقه. وأشواق تشرئب إلى ضرب من الحياة قوي كالدهر، جميل كالصباح، فيه ما في الدهر من عزم وفتوة، وما في الصباح من زهرة وشباب. ولكنها ما زالت ملتاتة غامضة، لم تتبينها النفوس في وضوح وإشراق، وما فتئت حائرة متشككة لا تعرف سبيلاً واضحًا، فتتخذه مسلكًا بينًا بين دروب الأيام الملتوية المتعرجة. غير أنه لا ينبغي لنا أن نيأس من هذه الحركات التي ما برحت واقفة في مفترق السبل تفكر أنى تذهب، وبأي المشارب تأخذ، بل الواجب أن نؤيدها بما نستطيع، ونأخذ بيدها إلى سواء السبيل فرحين مغتبطين لأن التنفس دليل الحياة.

نعم أقول إنه لا يجمل بنا ذلك لاعتقادي أن كثيرًا منا مازالوا يحلمون كثيرًا، ولا يعملون إلاّ يسيرًا. فإذا ما حدثتهم عن حركة فتية، أو عمل وليد، سخروا منك ولووا من أعناقهم معرضين، كأنهم يحسبون أن الطفل لابد أن يولد جبارًا سلاحه في يده،

كما تقص الأساطير اليونانية عن «أثينا» ربة الحكمة، من أنها شقت رأس أبيها، وسلاحها في راحتها. وأنهم لا يعلمون – هداهم الله – أن الضباب جلباب الصباح الجميل، وأن العوالم إنما تتكون من سدم الوجود، وكأنهم لا يؤمنون أن حركات المسلمين اليوم إنما هي صرخات أفئدة، قد ظلت بعيدة عن جزر الحياة ومدها أحقابًا متطاولة، وآمادًا بعيدة، وأصوات نفوس قد لبثت واجمة وجوم المقابر في ظلمات الدهور المتعاقبة. فلما أحست بتيارات الزمن تندفع عن جانبيها في هذا العالم الكبير، وتراءت لها الأنوار المضيئة الساحرة تلتمع من خلال الأفق، أحست بتزاحم معاني الحياة في صدورها. فعبرت عنها بكلام ملؤه الدوي والاضطراب، لا يفصح عن تلك الرغبات الجامحة التي تعصف في داخلها كالرياح، وتتهزم كالرعود القاصفة. **تلك هي الحركات الإسلامية اليوم. ولكنني على يقين من أنه لا بد أن يأتي ذلك اليوم الجميل الذي تتزن فيه تعابير الأمة الإسلامية، فتخرج جميلة المقاطع، متجاوبة النبرات كألحان الموسيقى الرصينة الهادئة، ولا بد أن يأتي ذلك اليوم، الذي تنجلي فيه هذه الحيرة، التي ترافق أعمالنا اليوم عن يقين ثابت لا يتزعزع ولا يتحلحل، وتنكشف فيه السحب التي تغشى آفاقنا عن شمس مشرقة ويوم ضحوك.**

قد قلت فيما سبق لي من قول أن النهضة اليوم لا زالت متشككة حائرة، وأي شيء أدل على ذلك من هاته الضجة الهائلة التي تتصاعد من جميع الأقطار الإسلامية إلى عنان السماء

في لجب وضوضاء. ومن هاته الحرب الضروس التي تدور رحاها في كل حركة من حركات العالم الإسلامي: فالحرب الأدبية تكاد تنقصف فيها الأقلام بين أنصار الجديد وأحلاف القديم، والثورات السياسية لا يركد نقعها بين زعمائها وهواتها، والحركات الدينية بين هبوط وصعود وتضرم وخمود، **منذ سعّر شعلتها فيلسوف النهضة الحاضرة جمال الدين الأفغاني.**

وقد قلت: إنه لا بد أن يأتي اليوم الذي تأخذ فيه النهضة الحاضرة سمتها في سبيل الحياة القيمة، وإنني أكاد أتعجله الآن، لأنني أرى طلائعه في الأفق الجميل، فقد أخذت الحركات الدينية تمشي في سبيلها مشية مطمئنة ثابتة لا ضعف فيها ولا خور، وستأتي نوبة الحركات الأدبية والسياسية في مقتبل الأيام.

أجل، لقد أخذت الحركات الدينية تسعى في سبيلها الأقوام بقدم راسخة وعزم وثيق. ففي مصر وسوريا اليوم تعمل الشبيبة المفكرة الناهضة أعمالاً باهرة في سبيل الدين الإسلامي، والإنسانية الفاضلة: بعضها لإظهار الدين الإسلامي النبيل في مظهره الحقيقي، الذي بدأ به أول مرة في صحراء العرب فكان محببًا إلى العالم، وكان بحق دين الإنسانية الجميل، وبعضها لتثقيف ما اعوج من أخلاق الناشئة، التي تحمل بين جنبيها قلوبًا تنبض بذكريات الأمس، وأعمال اليوم، وأشواق الغد البعيد.

وفي تونس اليوم نشاهد من آثار هذه اليقظة الإسلامية المباركة غراسًا زاكيًا، نتعشّم فيه خيرًا كثيرًا، ونرجو أن يؤتي أكله

بعد حين. ومن بين ذلك ما عزمت عليه ثلة من شباب اليوم من العمل لتكوين **جمعية للشبان المسلمين** يكون من مراميها السامية إنماء الفضيلة، وحب الخير في نفوس الناشئة، وتعليم الآباء كيف يربون أبناءهم التربية الدينية القيمة، وكيف يقتلعون من نفوسهم ما غرسته الضلالات والأوهام من خرافات وأساطير ليست من الروح الدينية في شيء. وإنني لأبتهج بهذا العمل الجليل الذي أرى فيه صورة حية صادقة من صور اليقظة الفكرية، وأدعو الأمة التونسية الناهضة لتلبية هذا الصوت الإلهي الذي يتردد في قلوب المسلمين في جميع نواحي العالم».

لقد كان لحضور الصحوة في فكر الشابي أن انطلق منها نحو نهضة في الشعر والأدب، لما بين النهضة الشعورية والنهضة الشعرية من ارتباط.

الخيال محور اهتمام الشابي

اهتمّ الباحثون من الذين يجمعون بين الذوق والعلم بموضوع الخيال قديمًا وحديثًا، فمن القدماء على سبيل المثال: «الشريف المرتضى» في كتابه: *طيف الخيال* ومن المعاصرين الشابي في كتابه *الخيال الشعري عند العرب* ومن الإحيائيين المعاصرين أيضًا سيد قطب في كتابه *النقد الأدبي*. ونكتفي هنا بالتركيز على مفهوم الخيال وأهميته في الحياة الإنسانية لدى أبي القاسم الشابي.

وقبل أن نذكر نصّ الشابي في موضوع الخيال نوجزه بما يلي:

١ ـ الخيال ضروري للإنسان ٢ـ كان الإنسان يستعمل الخيال في مختلف العصور دون أن يسميه «مجازًا» ٣ـ الخيال اتخذه الإنسان لإظهار ما في نفسه من معنى لا يفصح عنه الكلام المألوف. ٤ـ الإنسان شاعر بطبعه يريد أن يعبّر عمّا يجيش في نفسه حين يرى الجمال ٥ـ الناس متفاوتون في إدراك الجمال والشعور به.

والنصّ التالي يوضّح معنى الخيال عند الشابي:

«**النقطة الأولى** هي أن الخيال ضروري للإنسان لا بد منه ولا غنية عنه، ضروري له كالنور والهواء والماء والسماء، ضروري لروح الإنسان ولقلبه ولعقله ولشعوره ما دامت الحياة حياةً والإنسان إنسانا، وإنما كان كذلك لأن الخيال نشأ في النفس الإنسانية بحكم هذا العالم الذي عاش فيه الإنسان وبدافع الطبع والغريزة الإنسانية الكامنة وراء الميول والرغبات. وما كان منشؤه الغريزة ومصدره الطبع فهو حيّ خالد، لا ولن يمكن أن يزول إلا إذا اضمحلّ العالم وتناثرت الأيام في أودية العدم.

النقطة الثانية هي أن الإنسان الأوّل حينما كان يستعمل الخيال في جُمَلِهِ وتراكيبه لم يكن يفهم منه هاته المعاني الثانوية التي نفهمها منه نحن ونسميها «المجاز»، ولكنه كان يستعمله وهو على ثقة تامة لا يخالجها الريب في أنه قد قال كلامًا حقيقيًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. فهو حينما يقول مثلاً

«ماتت الريح» أو «أقبل الليل» لم يكن يعني منه معنى مجازيًا وإنما كان يعتقد أن الريح قد ماتت حقًا وأن الليل قد أقبل حقًا بألف قدم وبألف جناح. يدل لذلك ما في أساطير الأقدمين من أنهم كانوا يؤمنون بأن الريح والليل إلهان من الآلهة الأقوياء.. وتلك هي سنّة الأقدمين في ما حولهم من مظاهر الطبيعة ومشاهد الوجود، ينفخون فيها من روح الحياة على ما يوافق مشارب الإنسان وطبيعة تلك المظاهر حتى إذا ما استفادت «أنس الحياة» وأصبحت تشاركهم في بأساء الدهور ونعمائها، وتساهمهم أفراح الوجود وأتراحه ـ على ما يخالون ـ ذهبوا يقيمون لها طقوس العبادة وفرائض الإجلال، فإذا بها آلهة خالدة بين آلهتهم الخالدة.. وما أكثر آلهة الإنسان، **وهذا أعظم دليل على أن الإنسان متدين بالطبع، فهو دائمًا ظامئ إلى منبع الحياة الأول الذي كرعت منه الإنسانية على كرّ العصور مشاربها المختلفة ما بين صفو وعكر، حتى إذا ظفر برشفة منه اطمأنت نفسه وقرّ ضميره.**

فقد رأيتم هذا المجهود الخيالي العظيم الذي يبذله الإنسان لإرواء نفسه وهو يحسب أنه الحق الأزلي الذي لا ريب فيه، وإلا فهل كان يطمئن إليه ويقيم له فروض العبادة وهو يعلم أنه من زخرف الخيال الشارد ووحي الأوهام المعربدة؟

النقطة الثالثة هي أن الخيال ينقسم إلى قسمين: قسم اتخذه الإنسان ليتفهم به مظاهر الكون وتعابير الحياة، وقسم اتخذه لإظهار ما في نفسه من معنى لا يفصح عنه الكلام المألوف. ومن

هـذا القسـم الثـاني تولّـد قسـم آخـر ولّدتـه الحضـارة في النفـوس أو ارتقـاء الإنسـان نوعًـا مـا عمّـا كـان عليـه، وهـذا القسـم الآخـر هـو **الخيال اللفظي** الـذي يـراد منـه تجميـل العبـارة وتزويقهـا ليس غير. والقسـم الأول هـو أقـدم القسـمين في نظـري نشـوءًا في النفس، لأن الإنسان أخذ يتعرف ما حوله أولاً حتى إذا مـا جاشـت بقلبـه المعـاني أخذ يعبّر عنها بالألفاظ والتراكيب، ولما مارس كثيرًا من خطـوب الحياة، وعجم كثيرًا من ألواء الدهور، وامتلك من أعنّة القـول مـا يقتدر به على التعبير عما يريد، أحسّ بـدافع يدفعـه إلى الأناقـة في القول والخلابة في الأسلوب فكان هذا النوع الجديد من الخيـال، هـذا النـوع الـذي عمـد إليـه الإنسـان مختـارًا فكـان منـه المجـاز والاستعارة والتشبيه وغيرها من فنون الصناعة وصياغة الكلام.

ولزيـادة البيـان عـن هـذا الفكـر الـذي أريـده أقـول: **إن الإنسـان شاعر بطبعه، في جبلّته يكمن الشعر وفي روحه يترنم البيـان، إذ أيّ إنسان لا يهتاجه المنظر الساحر والمشهد الخلاب، وأيّ امرئ لا يستخفّه الجمال في أي مظهر من مظاهره وفي أي فتنة من فتنه؟!!**

ولكـن النـاس يتفاوتون في إدراك الجمال والشعور به على حسب قوة هاته الغريزة الشـاعرة أوضعفها، فمنهم مـن تضعف فيـه هاتـه الغريزة ضعفًا بيّنًـا حتـى توشـك أن تمـوت لأن نفسـه قـد اسـتحوذت عليها غريزة أخرى شغلت كـل مـا بهـا مـن فـراغ، ومنهم مـن تقـوى فيـه هـذه الغريـزة حتـى تتمـرد فتطغـى علـى كـل مـا عـداها مـن الغرائـز البشـرية المتطاحنـة، لأن الـنفس الإنسـانية مضـمار رحيـب

تتقارع فيه الغرائز، وتتصارع فيه الميول والشهوات، وبقوة هاته الغريزة أو ضعفها يتفاوت الإحساس والشعور فيتفجّر الشعر الخالد من بعض الأفئدة البشرية على حين أن الأخرى لا ترشح بغير الصديد. وتتكشف بعض النفوس عن عبقريات جبارة عاصفة على حين أن البعض الآخر لا يلد غير الغباوة المستخذية النائمة.

ولكن قوة هاته الغريزة أو ضعفها هي في كثير من الأحيان وليدة الحوادث والظروف. **فرب دمعة يائسة أيقظت ألف عاطفة نائمة، ورب ابتسامة حالمة أهاجت سواكن الوجود، ورب مشهد رائع أحيا عبقرية خالدة، ورب فكرة واحدة صدّعت أركان قلب كبير.**

وهكذا هبط الإنسان هذه الأرض مزوَّدًا بتلك الغريزة الشاعرة فكانت هي الأمل الجميل الذي ينير له مسالك العيش ويمهّد له سبل الحياة، وكانت هي الخيبة القاتمة التي تقذفه في هوّة اليأس وتشقيه في نار الألم.

هكذا هبط الإنسان الأرض لا يملك غير حسه ونفسه وغير قلبه وشعوره، فما زال يحلم في مهد الحياة، فكان له من مشاهد الكون ومظاهر الطبيعة ألغاز غامضة ومعان مستترة تبدو له ملتفّة في ثوب من ضباب كما تبدو الذكريات القصيّة في زوايا القلوب حتى إذا ما حاول أن يمسكها توارت عنه كما تتوارى الأشباح، وكان فيما بينها كالنائم السادر في أحلام الليل ورؤاه تبهجه هذه، وتبكيه تلك، وتُفزعه واحدة، وتسكّنه أخرى، ولم يكن

له من عقله في تلك الساعة ذلك العقل الكبير الجبّار الذي عبّ من نهر الحياة المتدفق، فاشتد أسره وتوثقت قواه، بل كان عقلا ضعيفًا واهنًا متهدمًا لم تضرسه الحياة ولا علمته الخطوب.

وما كان الإنسان بخامد النفس ولا هامد الحس حتى يغضي على ما حوله زاهدًا فيه ويقنع بالجهل الأخرس والصمت الكئيب، بل كان قوي المشاعر متحفّز الخيال فذهب يعلل مظاهر الكون بما شاء له الشعر أن يذهب. وأخذ يفسّر تعابير الطبيعة الداوية بما يملي عليه الخيالُ المرح والشعور النشيط دون أن يعلق بوهمه قط أنه سادر في الخيال بعيد عن جدد الحقيقة، وإنما كان على ثقة ويقين من أن ما وصل إليه هو في الصميم من الحق وفي الحبة من الصواب، ومن هنا كانت بذور الأساطير الدينية الأولى تثمر في النفوس، وكانت المعتقدات الوثنية تتكون في أعماق القلوب تكوّن الجنين في بطن أمه وهذا هو منشأ الخيال في الفكر البشري القديم قبل أن تصقله الحضارة وتشذّبه المدنية.

وكانت تعوزه الألفاظ أحيانًا للتعبير عما يجيش بنفسه من فكر وعاطفة وشعور وليد، فكان يتخذ من الخيال مطايا لأغراضه وأجسادًا لمعانيه دون أن يخطر بباله أنه استعمل تلك الجملة أو الكلمة في غير ما وضعت له ـ كما يقول علماء البلاغة ـ لأنه واثق أنها مستعملة في وضعها الطبيعي الذي لا تمجّز فيه».

القضية الحسينية..
عمق إسلامي وتطلعات إنسانية

محمد حسين فضل الله *

• زينب عاشت الزوجية للقضيّة وللرسالة

• لابدّ لنا أن نثقف الأسلوب • نحن بحاجة إلى خطباء وعلماء يعيشون عصرهم

• الحسين هو الشخصية التي يلتقي عليها المسلمون جميعًا

• إن الحبّ الضبابي سرعان ما يزول عندما يزول الضباب

• نحن مع الإنسانية، نحن مع المقاومة، نحن مع الانتفاضة.

زينب(ع): الصّبر والقوّة في الموقف

لا شكّ في أنّ العاطفة مقدّسة، ولا إنسانيّة بدون العاطفة، والحسين(ع) هو سيّد الإنسانيّة في معنى العاطفة، العاطفة التي كان يعيشها في نفسه كأيّ إنسان يقف أمام المأساة، والعاطفة التي كان يعيشها تجاه أمّته، ولكنّ الحسين(ع) كأبيه، «قد يرى الحوّل القلّب وجه الحيلة»، وجه الموقف، وجه الجزع، وجه البكاء، ودونها حاجز من أمر الله ونهيه، لأنَّ الله يريد له أن

* - من محاضرة ألقاها سماحته في السابع من محرم ١٤٢٣ هـ / ٢٣ آذار ٢٠٠٢م.

يجسّد القوّة في صبره، كما يجسّد القوّة في قتاله، وهذا ما جسّدته زينب(ع) بقولها: «اللّهمّ تقبّل منّا هذا القربان»، وتقول في مخاطبة يزيد: «فكِد كيدك، وناصب جهدك، فإنّك لن تمحو ذكرنا، ولن تميت وحينا»، وتقول في مخاطبة ابن زياد: «ثكلتك أمّك يا بن مرجانة»، فهل زينب التي تتحدّث بهذا الحديث الذي نسمعه، هي الإنسان التي لا شغل لها إلا البكاء والصّراخ وما إلى ذلك؟!

لقد ترك لنا الشّعراء بمختلف مستوياتهم، حديثًا عن زينب يصوّرها كما لو كانت بدويّةً تبكي أهلها وعشيرتها، وتنادي بالويل والثّبور! زينب هذه كانت قمّة العاطفة، ولكنَّها كانت في الوقت نفسه قمّة الوعي، لقد كانت شريكة الحسين(ع) في إدارة شؤون المعركة حتّى في كربلاء، قبل أن تنطلق بالسبي إلى الكوفة والشّام، وهي التي تركت زوجها في المدينة، وجاءت إلى كربلاء، لأنّها عاشت الزّوجيّة للقضيّة وللرسالة.

لذلك، نحن لا نقول إنّ العاطفة في المرأة تسقط إنسانيّتها، ولكن عندما تكون المرأة في ساحة المعركة وفي ساحة الصّراع، عند ذلك لا تكون العاطفة حرّةً في التّعبير عن نفسها بما يؤثّر سلبًا في ساحة المعركة.

لنثقّف الأسلوب في التّعبير:

لذلك، نحن بحاجةٍ إلى أن نستغني عن كلِّ هذا الرّكام، ومن

المؤسف جدًّا أنّنا لا نرى إلا ما يقرب من عدد أصابع اليد في كلّ هذا الواقع، من الذين يملكون رحابة السّيرة وأفقها في القضيّة الكبرى، لا نملك الإنسان المثقّف الذي يملك ثقافة الفكرة وثقافة إدارة العاطفة. نحن نعرف أنّ الإنسان تطوّر، فأساليبنا في الشّعر الآن تختلف عن أساليبنا في أيّام امرئ القيس، وأساليبنا في النّثر تختلف عن أساليب فلان وفلان من أدباء النّثر، حتّى إنّ أساليبنا في التّعبير عن العاطفة اختلفت، لأنّ الصّورة التي عاشها الإنسان في تطوّره الفكريّ، تختلف عن الصّورة التي عاشها أولئك، كانت المسألة هناك أنّ الخيام تمثّل الموقع، ولكن في عالم المدينة ماذا تمثّل الخيم؟ كانت المسألة هناك أنّ المرأة عندما تكشف وجهها تمثّل مأساةً للعفّة وما إلى ذلك، أمّا الآن، فأصبحت مسألةً طبيعيّة.

لذلك، لا بدَّ لنا من أن نثقّف الأسلوب، لأنّ القضيّة تبقى في عناصرها الطبيعيّة، نحن لا نريد أن نطوّر القضيّة، فنبتعد بها عن عناصرها الطبيعيّة، لأنّ علينا أن نبقي التّاريخ صادقًا، ولكن لا بدّ لنا من أن نطوّر الأسلوب، ونحن نعرف المثل المعروف: الأسلوب هو الرّجل، وهو المرأة، هو الإنسان؛ قل لي ما هو أسلوبك، ما هي طريقتك في إدارة الأمور العامّة والخاصة، أقل لك من أنت، لا يكفي أن تملك الفكرة، إنّ الكثيرين من النّاس أسقطوا تفكيرهم الأصيل بأساليبهم المتخلّفة، ونحن قد لا نشكو في بعض الحالات من مشكلة الفكر، ولكن نشكو من مشكلة

الأساليب، إنّك تعيش في هذا القرن وأنت تتحدّث بأسلوبٍ ترجع فيه إلى الوراء مئات السّنين، ونحن نعرف أنّ الذّهنيّة لغة.

عندما تريد أن تعيش عصرك، لا بدَّ لك من أن تتحدّث بذهنيّة عصرك، وأنا لا أقصد من الذهنيّة أن نسقط أفكار العصر، ولكنّ المقصود بذلك هو أن تتفهّم روح العصر، لتتمكّن من أن تنفذ إلى عقل الإنسان من خلال الذهنيّة التي تخاطب عقله، وأن تنفذ إلى قلبه من خلال الوسائل التي تنفذ فيها إلى قلبه.

ولذلك، لا بدّ لنا من إنتاج شعرٍ جديد، ونثرٍ جديد، ربما تكون المأساة في عاشوراء محدودةً في ما هو الصّدق التاريخي، بحيث لا يملك الخطيب ما يريده في إثارة الدمعة وإثارة المشاعر، لكن عندما تكون خطيبًا مثقّفًا، أو خطيبًا أديبًا، تعرف كيف تحرّك الكلام وتركّبه وتنظّمه في عمليّة إثارة المشاعر، ربما تقف لتعطي الصورة الكربلائيّة في المأساة، وتنهمر الدموع، دون أن ترجع صوتك أو تأتي حتى ببيت شعر، المهمّ أن تعرف أين هي نبضات المشاعر عند الإنسان وما الذي يحرّكه.

عاشوراء إسلاميّة في قيمها:

نحن بحاجة إلى خطباء، كما إلى علماء، يعيشون عصرهم، لأنّهم إذا لم يعيشوا عصرهم، فإنّهم لن يفهموا ذهنيّة الجيل الذي يعيشون معه، مما يخلق، نتيجةً لذلك، هوّةً عميقةً بين الدين والأجيال المقبلة، وفي المبدأ، ليست هناك مشكلة بين الدين

وبينهم، ولكنّ المشكلة في الذين يحرّكون قضايا الدين في وعي الإنسان.

لذلك، فإنني أخشى مما نقوم به من تصغير عاشوراء، وحبسها في القمقم، وهي التي انطلقت إسلاميًّا كما قال صاحبها: «خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر». إنّ رسول الله(ص) قال: «من رأى منكم سلطانًا جائرًا، مُستحِلاً لحرم الله، ناكثًا لعهد الله، مخالفًا لسنّة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيّر عليه بفعل ولا قول، كان حقًّا على الله أن يدخله مدخله».

ولكنّنا حوّلناها شيعيّة، لا من خلال قيم التشيّع، بل من خلال التراكمات التاريخيّة التي تحرّكت فيها ذهنيّاتنا في مسألة الخلاف بين السنّة والشيعة؛ إنّ عاشوراء تمثل في ندائها الإنسانيّ الإسلاميّ حركة الوحدة الإسلاميّة، لأنّ الحسين(ع) هو الشخصيّة التي يلتقي عليها المسلمون جميعًا، ليس هناك مسلم سنّي أو شيعيّ يمكن أن يتحفّظ في احترام شخصيّة الإمام الحسين وأخيه الحسن (عليهما السّلام).

إنّ المسلمين جميعًا يروون أنّ «الحسن والحسين(ع) سيّدا شباب أهل الجنة»، «أحبّ الله من أحَبّ حسينًا»، «حسين مني وأنا من حسين». لذلك، كان من الممكن أن نحرّك خطاب كربلاء الذي لم يكن فيه أيّ شيءٍ مما يتعارف عليه في زنزانات المذهبيّة المغلقة، ليكون صوتًا للوحدة الإسلاميّة، فيقوم بإحيائها السنّة

والشّيعة معًا، لا أن تكون مناسبةً لإثارة الأحقاد الشيعية التاريخية ضدّ السنّة، أو ليكون ردّ الفعل أحقادًا تاريخيّةً سنيّةً ضدّ الشّيعة، وبدلاً من أن نواجه الكفر كلّه والاستكبار كلّه في المضمون الثقافي الذي نريد أن نحرّك فيه عاشوراء، وإذا بنا نحاول أن نمزّق الوحدة الإسلاميّة باسم الإخلاص لأهل البيت، أو باسم الإخلاص للوحدة.

بدأنا نؤطّر عاشوراء، ونتفرّق شيعًا، فكلّ قبيلةٍ فيها أمير المؤمنين، ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ﴾، أصبحت المسألة من الذي يجمع الناس أكثر، ومن الذي يجتذب الجماهير أكثر، ومن الذي يثير العصبيّة أكثر، لكن بألوانٍ وبأوضاعٍ مختلفة. لقد كانت عاشوراء ضدّ العصبيّة التي أراد الأمويّون أن يعمّقوها في وعي المسلمين الذين جمعهم الإسلام ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾، «لا فضل لعربيّ على عجمي إلا بالتّقوى».

الاستفادة من دروس عاشوراء:

ادرسوا كلّ الواقع، ولا تحسبوا أنّي أريد أن أدينه كلّه، لكنّني أتكلّم عن الظّاهرة، والظّاهرة تصبح مشكلةً وكارثةً عندما تتحوّل إلى حالةٍ من الإدمان لدى الكثيرين. ولذلك فلنفكّر، ما هو المردود الثقافي، هل استطاعت هذه الجماهير من النساء والرجال أن تعيش ثقافة عاشوراء في امتدادها الإسلاميّ

وامتدادها الإنسانيّ؟ لا أنكر أنّ عاشوراء في خطابها الحماسيّ وفي خطابها الولائيّ استطاعت أن تعبّئ الناس بحبّ أهل البيت(ع)، ولكن ما هو مضمون هذا الحبّ؛ هل يكفي أن نقول إنّ الحقّ لهم، أو إنّ علينا أن نفهم ما هو الحقّ عندهم، ما هو فكرهم، ما هو خطّهم، ما هي القضايا التي أثاروها في مرحلتهم، ما هي القضايا التي تبقى لتعالج مشاكلنا، لا يكفي أن تحبّ أهل البيت(ع) أو تحبّ رسول الله إذا لم تعرف ما معنى رسول الله(ص) في حركة الإنسان، وما معنى أهل البيت في حركة الإنسان.

إنّ الحبّ الضبابيّ سرعان ما يزول عندما يزول الضّباب، ولكنّ الحبّ المرتكز على قواعد فكريّة وعقليّة، هو حبّ يبقى مهما انطلقت العواصف من أجل أن تجتثّ جذورها، لأنّها كالشّجرة الطيّبة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء ❖ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾. لقد استطاعت عاشوراء من خلال كلّ هذا الحبّ للحسين(ع)، في كلّ هذا الحماس ضدّ الأعداء، أن تحرّك شيئًا في الجهاد، ولكنّنا لم نستطع أن نخطّط للمستقبل، فانحصرت القضايا في دائرةٍ هنا ودائرةٍ هناك، ولكنّ النّجاح في موقعٍ، يدفعك إلى أن تخطّط للنّجاح في مواقع أخرى، لأنّ الظّروف التي ربّما قد تساعدك في مرحلةٍ، قد لا تساعدك في مرحلةٍ أخرى.

ولذلك، نحن بحاجة إلى أن نخطّط للمستقبل بطريقةٍ تختلف

عمّا هو سائدٌ الآن، لأنّ المسألة كما يقول المثل: «ليس كلّ مرّة تسلم الجرّة»، ولا سيّما أنّنا نعيش في عالمٍ استكباريّ يمثّل الأخطبوط الذي يمدّ أذرعه إلى كلّ مفاصل الحياة العامّة للإنسان وللمسلمين بالذات.

لذلك، فإنّ النّجاح هو عمليّة تخطيطٍ مستمرّ، ما إن تنتهي حلقة منه، حتّى يفترض أن يتمّ التّخطيط للمرحلة القادمة، وهكذا دواليك، للاستفادة من عناصر النجاح للمستقبل، والبحث عن العناصر الجديدة التي تخطّط له، ليقفز من نجاحٍ إلى آخر، وما إلى ذلك. وبعبارةٍ أخرى، أن لا نهزم أمام القضايا، بل أن نفكّر في النصر على أنقاض الهزيمة، والاستفادة من دروس الهزيمة.

واجبنا تحريك الأبعاد الإنسانيّة في الواقع

أنا أخشى أنّنا نزرع في مجتمعاتنا الشّخصيّة البكائيّة التي تبكي في الهزيمة، وتبكي في المأساة، وحتّى إنّنا جعلنا للسّرور بكاءً، وأصبحنا لا نطيق البسمات والفرح، بل نبكي من الفرح، لأنّ الشّخصيّة البكائيّة قد تبكي في حالات الفرح، كمن تخاف على الفرح أن يموت.

أيّها الأحبّة، إنّنا نبذل جهدًا كبيرًا في عاشوراء، ولكنني أتساءل: ما هي امتدادات عاشوراء في العالم، التي أُريد لها أن تكون المأساة التي تهزّ الضّمير الإنسانيّ؟! إنّها لا تزال في الدّائرة

الشّيعيّة الخاصّة، حتى إنّها لم تنفذ بقوّة في الدّائرة الشيعية المثقفة المعاصرة إلا قليلاً، قد يحدّثك بعض النّاس أنّ الأديب الفلانيّ في الغرب قال كذا، وأنّ الفيلسوف الفلانيّ قال كذا، ولكن كم هي الكلمات التي لا نستهلكها حتّى نحن.

إنّ العالم يعيش الآن بالكذب مأساة المحرقة الّتي انطلق بها النازيّ بالنسبة إلى اليهود، ونحن نعرف أنّ اليهود تعرّضوا لهذه المحرقة كما تعرّض لها كثير من الشعوب، ولكنّ اليهود عملوا بما عندهم من إمكاناتٍ، حتّى يقنعوا العالم على أساس «اكذب.. اكذب حتى تصدّق نفسك، واكذب.. اكذب حتّى يصدّقك النّاس»، وأصبحت المحرقة تمثّل هذه المأساة الإنسانيّة، وانطلقت القصص والرّوايات والأفلام لتنفذ إلى كلّ جيلٍ حتّى جيل الأطفال، ليشبّ عليها الصّغار، ويهرم عليها الكبار. ونحن لم نستطع أن نحرّك عاشوراء في الضّمير الإنساني في أبعادها الإنسانيّة والثّوريّة والفكريّة في واقعنا، لم نستطع ذلك، أتعرفون كيف تُقدّم عاشوراء إلى العالم؟ انظروا إلى فضائيّات العالم غدًا، وبعضنا لا يزال من مراجع وعلماء، يُنظّر لهذه العادات المتخلّفة، ماذا تنقل الفضائيّات العالميّة؟ هل تنقل الكلمات الهادفة والمثقّفة التي تنطلق من بعض المثقّفين والهادفين، هل تنقل هذا النبض الإنساني العاطفي الذي يعيش في نفوس الناس؟! إنّها تنقل كيف نضرب رؤوسنا بالسّيوف، وتنقل كيف نجلد ظهورنا بالسّلاسل، كأنّ قضيّة الحسين قضيّة هامشيّة لا يصنعها إلا

المتخلّفون. إنّ الذي يصنع قضيّة الحسين(ع) ليست هذه الدّماء التي نستنزفها من رؤوسنا، بل الدّماء التي نستنزفها من دماء الأعداء.

مواساة الحسين(ع) بالجهاد

ولهذا قلت في كلمةٍ سابقةٍ منذ أكثر من عشر سنين، إنّ الذين يواسون الحسين(ع)، ليسوا هم الذين يضربون رؤوسهم في النبطيّة أو في الشّام أو في العراق أو في إيران، ولكنّهم الذين يقفون في مواجهة الأعداء في جبل صافي، لأنّ الحسين(ع) جرح مع أهل بيته وأصحابه وهو يجاهد، وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويعمل على إنقاذ الواقع الفاسد من الحاكم الظالم، وهؤلاء كانوا يقاتلون من أجل ذلك كلّه، أمّا أن تقف بعقلٍ باردٍ وتضرب رأسك بمزاجك وتنادي يا حسين! الحسين(ع) لا يتقبّل هذه الدّماء، لأنّ الحسين(ع) كما يريد نيّتك، يريد ممارستك في خطّ النيّة.

صور مشوّهة عن عاشوراء

هذه هي المسألة، ماذا تنقل الفضائيّات والصحف؟ في العام الماضي قرأت صحيفةً كنديّةً تنشر صورة أبٍ يحمل ولده، والولد لا يتجاوز سنّ الرّضاعة، والدّماء تسيل من رأسه، والولد يبكي بكاءً يفتّت الأكباد لشدّة ألمه، ويقال هذا ولدٌ منذورٌ بالحيدر، وتعلّق الصّحيفة: «هكذا يفعل باسم اللّه!»، كأنّها تقول: هل

يقبل الله ذلك، ونحن نعطي الانطباع بأن الله ورسوله يقبلان ذلك، وتنطلق حالات التخلّف لتفرض نفسها علينا، ويخاف النّاس أن يتحدّثوا عنها بالصّوت العالي، لأنّهم يخافون من المتخلّفين.

الغوغاء في مواجهة المصلحين

لا بدّ من صوتٍ ينقذ هذه الذّكرى من كلّ هذه الوسائل، نحن نعرف أنّ مثل هذه النذورات هي نذورات محرّمة وفي مستوى الجريمة، لأنّك إذا كنت تملك أن تسيل الدّماء من رأسك، فأنت لا تملك طفلك، لا يجوز لك أن تعذّب الطفولة حتى باسم الحسين، لأنّ الحسين(ع) كان يقف ضدّ هؤلاء، لأنّهم كانوا يعذّبون الطفولة ويقتلونها. وعندما انطلق السيّد محسن الأمين، المصلح الكبير، ليفتي بتحريم ذلك، انطلقت الأصوات من هنا وهناك لتقول كما قال بعض شعرائهم:

يا راكبًا إمّا مررت بجلّقٍ فابصق بوجه مسيئها المتزندقِ

لأنّه أفتى بحرمة هذا العمل من منطلقٍ فقهيّ، والكثيرون مستعدّون لأن يواجهوا كلّ المصلحين بهذه الطريقة، وهناك الكثيرون ممن يتبعون هذه الأصوات التي تؤيّد التخلّف، ليكونوا كما قال عليّ(ع): «همجٌ رعاع، أتباع كلّ ناعق، يميلون مع كلّ ريح، لم يستضيئوا بنور الحقّ، ولم يركنوا إلى ركنٍ وثيق». يصيح الصائحون بالحقد، فتنطلق كلّ صيحات الحقد، ليتحوّل الحقد إلى شيء مقدّس، وأنا أعرف أنّ الحبّ شيء مقدّس، ولا

يمكن أن يكون الحقد شيئًا مقدّسًا...

لذلك، نحن نصغّر عاشوراء عندما نحبسها في كلّ قماقمنا العصبيّة والطائفيّة والحزبيّة وما إلى ذلك، اتركوا عاشوراء تتنفّس في الهواء الطلق، فسوف تصنع لكم هواءً نقيًّا، نقيًّا في العقل وفي القلب وفي الحياة، اتركوا عاشوراء تعيش في الشّمس، في الصّحو المبدع، فسوف تضيء لكم الطّريق في كلّ ظلماته، اتركوا عاشوراء تعيش في كلّ هذا الصّفاء والنقاء الروحيّ، لتستطيع أن تعطيكم صفاء العقل والرّوح والحياة.

إنّنا نعيش في وحلٍ ثقافي ووحلٍ عاطفيٍ واجتماعيٍ، حتى أدمنّا الوحل، وأصبحت الينابيع الصّافية مشكلتنا التي لا نرتاح إليها. تعالوا، لقد كان الحسين(ع) ينبوعًا صافيًا في الرّوح والعقل والحركة.

عاشوراء رمزٌ لمقارعة الاستكبار:

ونبقى لننطلق من عاشوراء الأفق الواسع، من عاشوراء التي تنفتح إسلاما وإنسانيّةً، لتمدّنا بالكلمة الحرّة، وأصالة الإنسان الذي يريد أن يقول نعم كما تكون النّعم، وهي الموقف الجدّيّ الرصين، لا موقف اللاهي العابث.

نسمع مسلم بن عقيل يقول: «أقسمت أن لا أُقتل إلا حرًّا»، ونسمع الحرّ بن يزيد الرّياحي الذي قال: «إنّي أخيّر نفسي بين الجنّة والنار»، يخيّر نفسه بين أن يكون مصيره النّار عندما يبقى في الدّنيا وهي بين يديه، وبين أن ينال الجنّة ويترك كلّ الدّنيا من أجل مبادئه.

وقد أكّد الحسين(ع) هذه الحريّة، وأعطاها مفهومًا راقيًا، عندما قال له: «أنت الحرّ كما سمّتك أمّك»، حرّ في الدّنيا، والحرّ هو الذي يختار ما يريد، ويملك إرادة الاختيار لما يريد، وكلمة الحسين هي برنامج الحريّة: «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذّليل...»، «ألا إنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز... بين اثنتين: بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة..».

إنّ هذا البرنامج أو المنطق الحسينيّ نرفعه في وجه بوش الذي كان منطقه تمامًا كما هو منطق ابن زياد، ولكنّ منطق هذا الأخير رُفعت عليه لافتة إسلاميّة، في حين أنّ بوش لا يضع لافتةً إسلاميّة، وذلك عندما رفع شعار: «إمّا أن تكونوا معنا أو مع الإرهاب». يعني إمّا معنا وإمّا نقاتلكم. ولذلك ندعوكم إلى تحويل منطق الحسين(ع) في كربلاء، إلى منطقٍ عالميّ يرفض الظّلم والاستكبار، كما رفض الإمام الحسين(ع) قول: إمّا معنا وإمّا مع الإرهاب.

نحن لسنا معكم ولا مع الإرهاب، نحن مع الإنسانيّة، نحن مع المقاومة، نحن مع الانتفاضة، نحن مع كلّ الذين يعملون من أجل حريّة الإنسان، إنّنا نستطيع أن نستخدم منطق الحسين(ع) مع إسرائيل التي تريد من الفلسطينيّين أن يخضعوا لتفرض عليهم شروطها، ليقولوا لإسرائيل كما قال الإمام الحسين(ع): «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذّليل»، إنّنا نستطيع أن نحوّل شعارات عاشوراء إلى شعاراتٍ إنسانيّةٍ عندما نتقن صناعتها وإخراجها، لأنّ الحسين(ع) كان للإنسان كلّه. لا يزال بعضنا ممن يحبس

عاشوراء في القمقم - والحمد لله أنّهم ليسوا كثرًا - يقولون ما لنا بفلسطين، هؤلاء سنّة، والسنّة ضدّ أهل البيت، وعاشوراء لأهل البيت، ألم تسمعوا بمثل هذا الكلام؟! كما كان يقال عندما كانت الحرب ضدّ إيران، هؤلاء شيعة، وما شأننا بالشّيعة، الشّيعة ليسوا مسلمين، هنا السنّة ليسوا مسلمين، وهناك الشّيعة ليسوا مسلمين، وضاع الإسلام بين هذه المقولة وتلك.

أيّها الأحبّة، لنخرج من عاشوراء في انطلاقة وعيٍ يجمع الوعي الثقافي والسياسيّ والجهاديّ والاجتماعيّ، وخطأ أن نقول إنّنا يمكن أن نجزّئ الأمور، حيث لا فصل بين الجهاد والسياسة والثقافة وما إلى ذلك. فالجهاد حركة في السياسة، والسياسة حركة في المبدأ، والمبدأ حركة في رضا الله، لا ازدواجيّة، إنّ المسألة هي أنّ الثقافة تعطي الوعي للسّياسة، والسّياسة تعطي الوعي للجهاد، والجهاد يعطي الوعي والحركة للواقع، تعالوا لنتكامل، تعالوا لنتعاون، تعالوا لنتوحّد، المرحلة تفرض علينا أن نجمّد كلّ خلافاتنا، لا أن نثير الخلافات والهوامش والجزئيّات، تعالوا لنطوّر نقاط القوّة عندنا، ولا نستغرق في نقاط الضّعف، وأن نرفض كلّ الكلمات التي لا معنى لها، وأن نرفض كلّ اللّغو الذي لا علاقة للواقع به، كما قال ذلك الشّاعر:

ونبقى نلفّ ونبقى ندورونحن نفتّش عن قافية
ألا قُتل الضّعف فينا فقدأضاع الرّعيّة والرّاعيَة

الفتوة في التراث الفارسي
سعدي الشيرازي نموذجًا

• العودة إلى وحدتنا الحضارية ما عادت ضربًا من المستحيل • تجوال سعدي في العالم العربي أمدّه بخصب حضاري • الحضارة الإسلامية انفتحت على لغات الشعوب وثقافاتهم • العارف في رأي سعدي هو الذي يخدم الناس • حضارتنا دعت دائمًا إلى الوسطية والابتعاد عن الإفراط والتفريط • سعدي تجاوز المذهبية في نهجه • سعدي بذل الجهد للمحافظة على روح العزّة في مجتمعه • ولو أن أهل العلم صانوه صانهم • تربية الذوق الجمالي هدف كل الأنبياء والمصلحين • حديث العشق حديث تضحية وفداء وتحمّل ومعاناة وإيثار.

محاور خطاب الفتوة في أدب سعدي

الخالدون في التاريخ هم الذين يخاطبون فطرة الإنسان. وفطرة الإنسان ثابتة ﴿لا تبديل لخلق الله﴾، وهي دائمًا تنشد الجمال والكمال. وشاعرنا سعدي كان جميلا عذبًا في أسلوبه ومعلّم الكمال في مضمونه.

موسيقاه في نثره وشعره لا تزال تحتلّ مركز الصدارة في الأدب

الفارسي، بل في الأدب العالمي، حتى عند أصحاب الحداثة وما بعد الحداثة. لقد جاء بعده من نال شهرة واسعة في زمانه، لكنه مالبث أن اختفى من الساحة بعد زوال الظروف الخاصة التي أدّت إلى اشتهاره، أما سعدي فلا يزال من الخالدين، وهذا درسٌ لكل الأدباء والفنانين الذين يريدون أن يقدّموا العطاء الخالد لأمتهم.

في كتابه «گلستان» يشير إلى أن رسالته الأدبية تجاوزت – حتى في عصره – حدود المكان، وأصبحت أحاديثه متداولة على كل لسان، فذكره الجميل تناقلته الأفواه، وكلامه سرى في بسيط الأرض، وحديثه قصب الجيب الذي يرتشفه الناس كقصب السكر، ورقعة منشآته تتداولها الأيدي كورقة ذهبية.

١ - الدعوة إلى وحدتنا الحضارية

بداية أذكر أن العالم الإسلامي ينتظره مستقبل عظيم على الساحة العالمية إن أحسنَ استعمال ما يمتلكه من مقوّمات حضارية. إن بريق التطوّر التقني في السلاح والارتباطات وفي سائر المجالات قد بهر وغطّى على عظمة وجود أمتنا الحضاري. لكنّ النور الذي سيبقى هو نور الحضارة، والحضارة الإسلامية لا ينافسها منافس على الساحة العالمية.

لا نذهب إلى ماذهب إليه هنتنغتون في صراع الحضارات، ولا نؤمن بما يقوله، ولا نعتقد أن مايجري في الساحة العالمية هو صراع بين حضارات، لأن المصارع القوي اليوم على الساحة العالمية لا يمتلك حضارة.. بل إنه ينطلق من عقدة نقصه الحضاري ليشيع

في العالم الدمار، وليقضي باسم عولمة خاصة به على حضارات العالم، وإذا كان توجّهه الأول اليوم نحو العالم الإسلامي، فلأنه مهدُ الحضارات الإنسانية، ولأن المنظّرين الاستراتيجيين أوحوا له بأن الحضارة الإسلامية مؤهّلة لأن يكون لها الدور الريادي على الساحة العالمية.

والعودة إلى وحدتنا الحضارية ما عادت ضربًا من المستحيل كما كان بعضهم يوحي بذلك، لأن الوحدة الأوروبية أثبتت إمكان توحيد شعوب نشبت بينها في القرن الماضي على الأقل حربان عالميتان، كما أن وحدتنا الحضارية ضرورة حتمية لبقائنا في عالم التكتلات. وكل مقومات الوحدة الأساسية قائمة بين ظهرانينا ونحتاج إلى تفعيلها.

أعود إلى سعدي الشيرازي لأقول إنه من رموز وحدتنا الحضارية. فهو إضافة إلى خطابه الذي يتجاوز حدود الزمان والمكان استطاع أن يقدم النموذج الرائع للامتزاج الحضاري بين الإيرانيين والعرب.

هذا الامتزاج نشاهده فيما خلّفه لنا من تراث. مؤلفاته مزجت بين العربية والفارسية بحيث لا يمكن أن يطالعها أحد إلا أن يكون ملمًّا باللغتين معًا. ولم يكن ذلك مصادفة، بل تعمّد إلى ذلك – فيما أعتقد – ليثبت أن الامتزاج هذا يبلغ باللغة إلى ذروة الكمال.

كثرة التضمينات القرآنية وكثرة العبارات والأبيات العربية التي تتخلّل نثره وتُلمّع شعره، والقصائد العربية التي تحتويها

كلياته تثبت أنه أراد التوفيق بين اللغتين العربية والفارسية ليخرج بنصوص تجمع بين الاثنين في إطار جميل خلاّب بعيد عن أي تكلّف.

في كتابه «گلستان» على سبيل المثال ترى في الصفحة الأولى نثرًا مليئًا بالمفردات العربية: مِنّة.. عزّ وجلّ... طاعة.. موجب.. قرب.. شكر.. مزيد.. نعمة.. نَفَس.. ممدّ.. حياة.. مفرّح.. ذات.. واجب.. تقصير.. عذر.. رحمة.. حساب.. ناموس.. فاحش.. وظيفة.. خطأ.. كريم.. خزانة.. غيب..وظيفة.. محروم.. نَظَر.. فرّاش.. فرش.. داية.. بنات.. نبات... خلعة.. قباء.. ورق.. أطفال.. قدوم.. موسم.. ربيع.. و...

وترى آية هي قوله تعالى: ﴿اعملوا آل داود شكرًا وقليل من عبادي الشكور﴾.. وهكذا تستمر الصفحات على هذا المنوال تتخللها أبيات بالعربية مشفوعة بأبيات في الفارسية.

والعربية في كليات سعدي نراها:

- في المفردات العربية الكثيرة في نثره.
- وفي أبياته العربية المتناثرة خلال نثره.
- وفي قصائده العربية التي أفرد لها المحققون قسمًا خاصًا.

تبدأ أولها بقوله: (فروغي/ ٧٣)

الحمد لله رب العالمين على ما درّ من نعمة عزّ اسمه وعلا

وهي في ذكر الله ونِعَمه.

والثانية في رثاء بغداد والمعتصم بالله بعد هجوم المغول ومطلعها: (فروغي/ ٧٣ - ٧٧)

حبستُ بجفنـيَّ المدامـع لا تجـري فلما طغى الماء استطال على السكر

وتزيد على تسعين بيتًا.

والثالثة في مدح نور الدين بن صياد ومطلعها: (فروغي/ ٧٧ – ٧٨)

مادام ينسرح الغزلان في الوادي احذر يفوتك صيد يا ابن صيّاد

عدد هذه القصائد العربية يربو على العشرين، وأكثرها في الغزل كما ذكرنا، ومن غزله العربي قوله: (فروغي ٨٧):

يـــا نـــديمي قـــم تنبّـــه واســـقني واســـقِ النـــدامى
اســـقياني وهـــدير الرعـــد قـــد أبكـــى الغمامـــا
وشـــفا الأزهـــار تفـــترّ مـــن الضـــحك ابتســـاما
قـــل لمـــن عيّـــر أهـــل الحـــبّ بالجهـــل ولامـــا
لا عرفـــت الحـــبّ هيهـــات ولا ذقـــت الغرامـــا

ونرى العربية في ملمّعاته نظير قوله: (فروغي/ ٣٧٧)

وقتهـــا يكـــدم برآســـودي تـــنم
قـــال مـــولائي لطـــريف لا تـــنَمْ
اســـقياني ودعـــاني أفتضـــحْ
عشـــق ومســـتوري نيـــاميزد بهـــم
مـــا بمســـكيني ســـلاح انـــداختيم
لا تحلّـــوا قتـــلَ مـــن ألقـــى السّـــلَم
قـــد ملكـــت القلـــب ملكًـــا دائمًـــا
خـــواهـــي اكـــنـــون عـــدل كـــن خـــواهـــي ستـــم

وليست مظاهر الوحدة الحضارية عند سعدي متجلية في

الامتزاج اللغوي بين العربية والفارسية فحسب، بل أيضًا فيما يعرضه من قصص حقيقية أو رمزية دارت في بلاد عربية أو غير عربية أحيانًا من العالم الإسلامي.

فتجواله في العراق والشام ومصر والجزيرة العربية أمدّه بخصب حضاري في شعره ونثره. في أحاديثه عن الشام مثلاً يتكرر ذكر دمشق والقدس وحلب وطرابلس، ويذكر عنها قصصًا فيها عبرة وتذكير.

الخطاب الإنساني المعتدل

حضارتنا تقوم على أساس الخطاب الإنساني العام، ومخاطبة الإنسان وتكريمه بما هو إنسان. كثير من الآيات القرآنية تبدأ بعبارة: (يا أيها الناس) ومنها آية الدعوة إلى التعارف بين الشعوب: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

والنصوص الدينية الأخرى تؤكد أن الإنسان أخو الإنسان، شاء أم أبى. وتؤكد أن كل أبناء البشر من بني آدم، وآدم من تراب، فلا تفاضل ولا تفاخر في الأنساب والأعراق، والتفاضل عند الله - لا عند البشر - بما يقطعه الإنسان على طريق كماله، وهو الذي عبّرت عنه الآية بالتقوى.

وعلى الصعيد العملي انفتحت الحضارة الإسلامية على لغات الشعوب وثقافاتهم، ولم تُفرض اللغة العربية – مع قداستها – على غير العرب، ولا أدلّ على ذلك من بقاء اللغة الفارسية إلى

جوار اللغة العربية في إيران، بل من إقبال القبائل العربية المهاجرة إلى إيران على تعلم اللغة الفارسية، حتى أصبح الجيل الثالث منهم لا يعرف اللغة العربية إلا عن طريق التعلّم. وهكذا الموقف من الديانات الأخرى، كان موقف احترام واعتراف، والدليل على ذلك تعايش المسلمين مع المسيحيين واليهود والزرادشتيين حتى يومنا هذا، رغم استفزازات الحروب الصليبية وممارسات الحركة اليهودية العالمية التي أنجبت الصهيونية.

واشتهر سعدي برفع هذا الصوت الإنساني في أدبه حتى عُدّ من شعراء الإنسانوية، واشتهر خاصة بقوله: (فروغي/ ٢٥):

بني آدم اعضـــاي يكديگـــرنـــد كه در آفرينش زيک گوهـــرنـــد
چـــو عضوي بـــدرد آورد روزگار دگـــر عضـوها را نمـاند قرار
تـــو گر محنت ديگران بي غمـــي نشايد كـــه نامت نهند آدمـــي

أي:«بنـــــو آدمٍ جســـــدٌ واحـــــدُ
إلى عنصـــــر واحـــــدٍ عائـــــدُ
إذا مـــــسّ عضـــــوًا ألـــــيم الســـــقام
فســـــائر أعضـــــائه لا تنـــــام
إذا أنـــــت للنـــــاس لم تـــــألم
فكـــيـــف تســـميـــت بـــالآدمـــي»؟!

بهذه الروح الإنسانية نظر إلى العرفان، فذهب إلى أن العارف أو الصوفي هو الذي يخدم الناس لا الذي يختار العزلة والاعتكاف، ويطلب من كلّ الناس حتى الحكام أن يتخلّقوا بأخلاق الدراويش:

«ليست العبادة سوى خدمة الناس / ليست بالتسبيح والسجادة وارتداء الدلق / ابقَ أنت على عرش سلطنتك / بأخلاق طاهرة وكن درويشًا».

ويرى أن المعتكفين في الخانقاه لا نفع فيهم، وأن العارف لابدّ أن يتزوّد بالعِلم الذي يخدم فيه الناس، يقول: (فروغي ٨٠ – ٨١):

صاحب دلى بمدرسه آمد زخانقاه
بشكست عهد صحبت أهل طريق را
گفتم ميان عالم و عابد چه فرق بود
تا اختيار كردى از آن اين فريق را
گفت آن گليم خويش بدر ميبرد زموج
وين سعي مي كند كه بگيرد غريق را

أي: «عارف جاء من الخانقاه إلى المدرسة/ وقطع عهد الصحبة مع أهل الطريقة / قلت: ماالفرق بين العالم والعابد /حتى جعلك تختار هذا الطريق؟ / قال: ذاك ينقذ سجادته من الموج وهذا يسعى للأخذ بيد الغريق ».

كما أن حضارتنا دعت دائمًا إلى الوسطية، وإلى الابتعاد عن الإفراط والتفريط، فأمتنا الوسط مدعوة إلى أن تكون شاهدة، والشاهد لا ينحاز إلى طرف، بل يسير على الجادة الوسطى، والانحياز إلى طرف هو التطرّف، وهو مرفوض.. وهي مدعوة إلى الاعتدال وإلى الطريق المستقيم.

وسعدي عاش في عصر الإفراط بين المدرسة والخانقاه، أي بين العلم والدروشة، فدعا إلى عرفان مقرون بالعلم والفكر

والحكمة يقول: (فروغي/ ١٠)

سخنـــدان پـــرورده پـــير كهـــن بينديشـــد، آنگه بگويـــد سخـــن
نـــزن تـــاتوانـــي بگفتـــار دم نكو گوي، گـرديـرگوئي چـــه غم
بينديـــــش وآنگـــه بر آور نفس وزان پيش بس كـن كه گويند بـس
بنطق آدمـــــي بهترســـت از دواب دواب از تو بـــه گر نگوئي صواب

أي: «إن الشيخ المعمّر، البليغ المربّي / يفكر ثم يتكلّم / لا تنطق بغير تروّ وتأمّل / أحسن القول، وماذا يضيرك إن أبطأتَ في الكلام؟ / فكر ثم افتح فمك/ واسكت قبل أن يقال: كفى! / إنّ الآدمى بالنطق أفضل من الدواب / والدواب خير منك إن لم تقل الصواب».

ويقول بشأن السلوك المقرون بالحكمة: (فروغي/ ١٠)

«لقمان را گفتند: حكمت از كه آموختي؟ گفت: از نابينايان كه تا جاي نبينند پاي ننهند. قدّم الخروج قبل الولـوج، مرديـت بيازمـاي وآنگه زن كن».

أي: «قيل للقمان الحكيم ممن تعلّمت الحكمة؟ قال: من العُميان، فإنهم لا يضعون القدم حتى يعرفوا المكان. (قَدّم الخروجَ قبل الولوج) جرّب رجولتك ثم تزوّج».

والدعوة إلى الخطاب المعتدل نراها في شعر سعدي حين يتحدث عن الصمت والكلام، فلا الصمت المطبق مطلوب ولا الهذر الكلامي، فالصمتُ له وقته، والكلام له وقته. يقول: (يوسفي/٥٣):

اگر چه پيش خردمند خامشي أدب است
به وقت مصلحت آن به كه در سخن كوشي
دو چيـــز طيرى عقل است: دم فروبستـــن
به وقت گفتن، وگفتن به وقت خاموشـــي

أي «ولو أن الصمت في رأي اللبيب من الأدب/ لكنك اجتهد في أن تتكلم حين تقتضي المصلحة/ شيئان من خفّة العقل: السكوت / في وقت الكلام، والكلام في وقت السكوت».

وما أحوجنا اليوم إلى أن نخطط لحياتنا الفردية والاجتماعية في الكلام والسكوت، كي لا نقع في إفراط الهذر أو تفريط الإعراض عن قولة الحق.

والاعتدال نراه أيضًا في موقفه المذهبي، ولعل هذا الموقف استلهمه من أستاذه الغزالي. فالغزالي لم يتعصّب لمذهب معين. يقول في رسائله الفارسية ما ترجمته:

«أسير في المعقولات على مذهب البرهان وما يقتضيه الدليل العقلي. وفي الشرعيات على مذهب القرآن، ولا أقلّد أحدًا من الأئمة، فليس للشافعي عليّ عهد ووصية، ولا لأبي حنيفة حجة وسند».

وليس من شك أنّ دراسة سعدي كانت على يد أساتذة من أهل السنّة، وفي كليّاته ما يشير إلى أنه سنّي المذهب، ولكنك ترى في هذه الكليات حديثًا عن علي بن أبي طالب وعن أهل البيت ما يوحي أنه شيعي، والمحصلة من كل ذلك أنه أراد أن يتجاوز

المذهبية في نهجه، ويقف الموقف الذي يمليه عليه فكره وشخصيته المستقلة، لا التقليد الأعمى.

نحن اليوم بأمسّ الحاجة إلى هذا الاعتدال في الموقف المذهبي. بحاجة إلى تفهم السنّة بأنها التزام بسنّة رسول الله(ص)، وهو التزام واجب على كلّ المسلمين، عندئذ يكون كلّ المسلمين سنّة، وأن نفهم التشيع بأنه ولاء لآل بيت رسول الله(ص)، وهو ولاء أوجبه القرآن الكريم ﴿قل لا أسألكم عليه أجرًا إلا المودة في القربى﴾ عندئذ يكون كلّ المسلمين شيعة، وما عدا ذلك فهو إما خلافات تاريخية لا علاقة لنا بها، وإما اختلافات اجتهادية طبيعية بين البشر، أجازها الإسلام وشجّع عليها.

٣ - الدعوة إلى العزّة

المجتمع البشري حيّ بعزّته فإذا ذلّ مات.. هذه حقيقة تؤكدها كل الدراسات التاريخية والاجتماعية، وتثبتها حقائق الواقع الراهن، من هنا فإن كلّ الأنبياء والمصلحين دعوا إلى صيانة عزّة الإنسان وكرامته على ظهر الأرض، كي يستشعر الحياة، ويسير على طريق استخلاف الله في الأرض وما يتطلبه هذا الاستخلاف من إبداع وابتكار واستثمار لمواهب الطبيعة وكنوزها.

وسعدي بأسلوبه الأدبي الرائع جَهَد لأن يحافظ على روح العزّة في مجتمعه بعد أن تكالبت عليه أنواع الظروف لإذلاله.

وأهم وَتَر ضرب عليه لصيانة روح العزّة في المجتمع هو إنقاذ الناس من التهافت على الدنيا كتهافت الذباب على قطعة الحلوى.

وإيقاظ العقول والقلوب على حقيقة هذه الحياة التي لا تبقى لأحد. وهذا لا يعني أنه دعا إلى ترك الدنيا، بل دعا إلى ممارسة الحياة ممارسة مترفعة عن الدنايا وعن الذاتية والأنانية، وعن الحرص والطمع ، وعن كل العوامل التي تخلق السلبيات في العلاقات الاجتماعية، وتحول دون تفتح مواهب الإنسان وكفاءاته ودون العطاء الاجتماعي العام. دعا إلى أن لا يتحول الإنسان إلى دودة تعيش في الظلام، لا تعرف إلا ماحولها، ولا تعمل إلا لإشباع نهمها الغريزي.

نراه في حكاياته بكتاب گلستان يخاطب النفس الإنسانية بأساليب مختلفة لينتشلها من وهدة الهبوط ويرفعها إلى الارتباط بالكون الفسيح وخالقه.

يقول في الباب السابع: «سمعت أحدًا من الشيوخ المربين كان يقول لمريد: أي بني! لو كان ارتباط ابن آدم بالرازق بقدر ارتباطه بالرزق لارتقى على الملائكة في المقام».

وفي هذا المضمار ينشد أحيانًا بيتًا بالعربية فيقول:

بئس المطاعم حينَ الذلِ يكسبها

القِدر منتصب والقَدرُ مخفوضُ

وأحيانًا ينشد بيتًا بالفارسية يقول:

هركه نان از عرق خويش خورد

منّت از حاتم طائى نبرد

أي: «كل من يأكل الخبز من عمله / لا يتحمل المنّة من حاتم الطائي».

وأحيانًا ينشد قطعة شعرية يقول:

«إذا أردت الغنى، لا تطلب غير القناعة / فإنها دولة هنيّة/ إذا نثر الغني الذهب بحجره / فحذار أن تنظر إلى نواله/ فقد سمعت كثيرًا من الأكابر (يقولون) / إن صبر الفقير خير من بذل الغني».

وفي كتابه بوستان خصص بابًا للقناعة يدعو إليه بقوله مثلاً:

-«اقنعي أيتها النفس بالقليل / حتى تري السلطان والفقير متساويين».

-وابغ جوفًا طاهرًا أينما تذهب / فإن البطن لن يملأه إلا التراب».

ـ النفس الأمارة تُحيل المرء ذليلاً / فلا تطعها إن كنت عاقلاً».

وفي قطعاته الشعرية يكثر من التأكيد على عزّة النفس، وفي إحداها يصوّر أصدقاءه يقولون له:

«لماذا أنت يا سعدي لا تتحرك للحصول على المال والمتاع؟ / فأنت تتربع على عرش الشعر، فلماذا تعيش كما يعيش المرتاضون؟/ لو مدحت قليلاً فستنال الحظوة/ وصاحب الفن إن كان معدمًا فهو مغبون، ولا يقدر أن يكسب ودّ الاخوان».

ثم يجيبهم: «لا أستطيع أن أرفع حاجتي إلى هذا المالك وذاك الثري/ فهذا من فعل المتكدين/ لو طُلب مني أن آخذ إبرة من اللئام/ لتحولت هذه الإبرة إلى إبر على جلدي مثل القنفذ/ لقد قلتَ: إن رضا الصديق لا يتيسّر إلا بالمال/ وهذا أيضًا خلاف المعرفة والرأي الصحيح/ فألف كنز ثمين يعادل حبّة من الفن/

والمنّة بعد ذلك على المعطي، والحيف عَلَيّ».

وهذه القطعة الشعرية تذكرنا بأديب إيراني أخر هو علي بن عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٦٦هـ)، فقد دعا جميع ذوي القلم والفن أن يحافظوا على شرف علمهم إذ قال:

يقولون لي: فيك انقباضٌ وإنما ... رأوا رجلاً عن موقف الذل أحجما
إذا قيل: هذا مَنْهَلٌ قلتُ: قد أرى ... ولكنّ نفسَ الحرّ تحتمل الظّمَا
ولم أقضِ حقّ العلم إن كان كلّما ... بدا طمعٌ صيّرتُه لي سُلّما
ولم أبتذل في خدمة العلم مُهجتي ... لأخْدُمَ مَنْ لاقيتُ لكنْ لأخدَما
أأشقى به غَرْسًا وأجنيه ذِلّةً ... إذن فاتباع الجهل قد كان أحزَما
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ... ولو عظّموه في النفوس لعُظّما
ولكن أهانوه فهانَ ودنّسوا ... محيّاه بالأطماعِ حتى تجهّما

٤ - تربية الذوق الجمالي

ذكرنا أن سعدي الشيرازي عاشق بالمعنى العرفاني، والعاشق بهذا المعنى هو الذي يغلي صدره بالمشاعر النبيلة التي تدفعه إلى حبّ الجمال والكمال، من هنا فالعاشق لا يستقرّ ولا يخنع ولا يستسلم للظروف، بل يتحرك رغم كل الصعاب على طريق الجمال.

وعلى العكس من العاشق الإنسان المتبلّد الاحساس، الضعيف الهمّة، الذي لا يهتزّ أمام السحر ولا يطرب أمام الجمال.

وتربية الذوق الجمالي هدف كل الأنبياء والمصلحين، لأنه

يـدفع الإنسـان للحركـة نحـو الجمـال المطلـق ويجعـل الكـائن البشري مُعرضًا عن القبائح والسيئات.

نحن اليوم بأمس الحاجة لتربية الذوق الجمالي لشبابنا لكي يطلبوا الجمال في كل مجالات حياتهم، ويعرضوا عن القبيح في المظهر والسلوك. والذوق الجمالي يبعد الشباب عن الوقوع في مستنقع الرذيلة، لأن الشاب – إن تحلّى بالذوق الجمالي - يستطيع أن يفهم قبح الرذائل، ويفهم الفرق بين الجمال الحقيقي والجمال السرابي الخدّاع.

وهي مسألة نحتاج إلى الوقوف عندها طويلاً، لكنّا نكتفي بهذه الإشارة ونعود إلى سعدي الشيرازي الذي سعى فيما سعى إلى أن يستثير الذوق الجمالي الفطري في مجتمعه، الذي تكالبت فيه ظروف سحق هذا الذوق وإماتته، بفعل الأوضاع الاجتماعية السيئة.

هو أولا يكرّر الدعوة إلى التأمل في مظاهر الطبيعة ومافيها من جلال وجمال وأسرار، وإلى التعمّق بما وراء الظواهر من علاقات تربط كل الكون بهدف تكاملي واحد. يقول:

بذكرش هرچه بيني در خروش است
ولي داند درين معني كه گوش است
نه بلبل بر گلش تسبيح خوانيست
كه هر خاري بتسبيحش زبانيست

أي: «كل ماتراه يموج بذكره/ لا يفهم ذلك إلا القلب السميع/ ليس البلبل فحسب يسبّح على وردته/ بل كل شوكةٍ لسانٌ ينطق بتسبيحه».

والقلب الذي يستطيع أن يتفهّم حقائق الأشياء هو القلب الذي يخفق بالعشق لا القلب المتبلّد الجامد. كلّ مظاهر الطبيعة تدعو الإنسان إلى أن ينفتح قلبه وينصقل ذوقه، بل لقد عُرِف عند العرب عن الجَمَل بأنه يطرب للصوت الجميل، فما بال الإنسان لا يهزّه الجمال؟!

يقول سعدي: (فروغي/ ٦٩)

داني چه گفت مرا آن بلبل سحرى؟

تو خود چه آدمي كز عشق بي خبرى

اشتر بشعر عرب در حالتست وطرب

گر ذوق نيست ترا كژ طبع جانورى

أي: «أتدري ماذا قال لي البلبل في السحر؟ / أي إنسان أنت يامن لا معرفة لك بالعشق؟!/ الجمل في الشعر العربي له ذوق وطرب/ وإذا لم يكن لك ذوق فأنت حيوان معوجّ الطبع».

ثم يردف سعدي هذين البيتين بيت عربي فيقول:

وعند هبوب الناشرات على الحمى

تميل غصون البان لا الحجر الصلد

يضع سعدي مواصفات للعاشقين منها أنهم لا يملّون الطلب والبحث للوصول إلى الجمال، يقول: (الهنداوي/ ٤٠٠)

چو يعقوبم اريده گردد سپيد نبردم ز ديدار يوسف اميد

طلبكار بايد صبور وحمول كه نشنيده ام كيمياگر ملول

چه زرها بخاک سيه در كند كه باشد كه روزي مسي زر كند

أي: «فلئن ابيضّت عيناي، كما ابيضّت عينا يعقوب / فلن

أقطع الأمل، من رؤية يوسف/ ولابدّ للطالب أن يكون صبورًا قادرًا على التحمّل / إذ لم يُسمع أن كيماويًا (ساعيًا للحصول على الذهب من معادن أخرى) أصبح ملولاً / فما أكثر ما ينفقه من مال وذهب / لعلّه يومًا يستطيع أن يحوّل النحاس إلى ذهب».

ومن صفات العاشقين أنهم يشعرون – رغم ثقل أعباء العشق – بالبهجة والسرور والحبور.

وسعدي مبتهج دائمًا، لأنه يعيش في عالم مبتهج بخالقه، وسعدي عاشق لكل العالم، لأن كل العالم من فيض المحبوب. يقول:

بجهان خرّم از آنم كه جهان خرّم از اوست

عاشقم بر همه عالم كه همه عالم از اوست

أي: «أنا مبتهج بالكون لأن الكون مبتهج به/ أنا عاشق لكل العالم لأن جميع العالم منه».

وما أجمل هذا الارتباط بالكون! إنه ارتباط يشرح الصدر، ويبارك العمر ويزكّيه ويرفعه، ويجعل العلاقة بين الإنسان والكون علاقة العاشق بالمعشوق.

ويفصل سعدي بين حديث العشق وحديث العقل، فالعشق حديث تضحية وفداء وتحمّل ومعاناة وإيثار، وحديث العقل حديث مصلحة ومنفعة واستئثار وطلب السلامة. يقول سعدي:

دردیست درد عشق كه هيچيش طبيب نيست

گر دردمند عشق بنالد غريب نيست

دانند عاقـــــلان كـه مجانيـــــن عشـق را

پـــروای قـــــول نـــاصح و پند اديب نيست

أي: «مـا أشـدّ ألم العشـق الـذي ليس لـه طبيـب / وإذا نـاح المصـاب بالعشق فليس ذلـك بغريـب / يعلـم العقـّال أن مجـانين العشـق / لا يرعوون لقول ناصح وموعظة أديب».

وهذا لا يعني أن سعدي يدعو إلى ترك العقل، بل يـرى أن عـالم العشق غير عالم العقل، عالم العشق يتجاوز الذات، وعـالم العقـل يكرّس الذات. ولا نبالغ إذا قلنا أن كل الذين بـذلوا جهودهم مـن أجـل خدمـة البشـرية في أي مجـال مـن المجـالات هـم عاشـقون. والعرفـاء يـرون أن العشـق هـي النـار الـتي تحـرّك البشـرية، وهـو طاقتها المحركة، ويعبّرون عن العقل بأنه الدخان المصاحب للنـار. يقول العطار في منطق الطير:

عشـق جانان آتش است وعقل دود

عشق چون آمد گريزد عقـــل زود

أي: «عشـق الحبيـب نـار والعقـل دخـان / وحـين يحـلّ العشـق سرعان ما يهرب العقل».

ويقول سعدي:

حديث عقـــل در ايام پادشاهي عشق

چنان شده است كه فرمان حاكم معزول

أي: «حـديث العقـل في أيـام سـلطنة العقـل / أصـبح وكـأنـه فرمـان الحاكم المعزول»

منطـق العاشـقين غـير منطـق الأنـانيين. والعرفـاء يـرون أن

العاشقين هم أصحاب الرأي الصائب والنظر الثاقب. يقول سعدي:

هر كسي رانتوان گفت كه صاحب نظر است

عشق بازى دگر و نفس پرستي دگر است

أي: «لا يمكن أن يقال عن أي شخص بأنه صاحب نظر/ فالسير على طريق العشق شيء وعبادة النفس شيء آخر».

سعدي يضع العاشق مقابل الأناني وعابد الذات، وبذلك يدعو إلى أن يكون الإنسان عاشقًا ينشد الجمال بعيدًا عن الذاتية والأنانية، مندفعًا دائمًا ليقدم الخير والعطاء للبشرية جمعاء.

٥ - الابتعاد عن الهوس الديني

وهي دعوة هامة لكل العصور، خاصّة في عصور التحوّل واليقظة الدينيّة. فهذا التحوّل قد يشوبه خطر «الهوس الديني» بدل الوعي الديني. والهوس الديني هو الحركة على طريق عقد نفسية باسم الدين، وبذلك يسيء إلى الناس وإلى الدين. وإلى ذلك يشير سعدي في قصة أدبية طريفة ملخصها أن شخصًا رأى رجلاً أسود يحتضن أمرأة بيضاء في خلوة، فأخذه الرجل الهوس الديني، ورمى الرجل الاسود بحجر كي يخلّص الفتاة البيضاء منه، وإذا بالفتاة تضجّ متذمرة بأنها هي التي كانت تطلب هذا الرجل، وكان اجتماعهما عن رضىً بينهما يقول:

حكايت

١- چنين گفت پيري پسنديده دوش — خوش آيد سخنهاي پيران به گوش

٢- كه در هند رفتم به كُنجي فراز — چه ديدم؟ پليدي سياهي دراز

٣- در آغوشِ وي دختري چون قمر
فرو برده دندان به لبهاش در

٤- چنان تنگش آورده اندر كنار
كه پنداري اللّيلُ يُغشي النَّهار

٥- مرا امر معروف دامن گرفت
فضول آتشي گشت و در من گرفت

٦- طلب كردم از پيش و پس چوب و سنگ
كه اي ناخدا ترس بي نام و ننگ

٧- به تشنيع و هشتم و لشنيع و زجر
سپيد از سيه فرق كردم چو فجر

٨- شد آن ابر ناخوش زبالاي باغ
پديد آمد آن بَيضه از زير زاغ

٩- زلاحَولَم آن ديو هيكل بجَست
پري پيكر اندر من آويخت دست

١٠- كه اي زَرق سجّاده زَرق پوش
سيهكار دنياخر دين فروش

١١- مرا عمرها دل زكف رفته بود
براين شخص وجان بَرْوي آشفته بود

١٢- كنون پخته شد لقمه‌ي خام من
كه گرمش بدر كردي از كامِ من

١٣- تظلّم برآورد و فرياد خواند
كه شفقت برافتاد و رحمت نماند

١٤- نماند از جوانان كسي دستگير
كه بستاندم داد از اين مرد پير؟

١٥- كه شرمش نيايد ز پيري همي
زدن دست در سِتر نا محرمي

١٦- همي كرد فرياد و دامن به چنگ
مرا مانده سر در گريبان زننگ

١٧- فرو گفت عقلم به گوش ضمير
كه از جامه بيرون روم همچو سير

١٨ – برهنه دوان رفتم از پيش زن
كه در دستِ أو جامه بهتر كه من

١٩- پس از مدّتي كرد بر من گذار
كه مي دانيم؟ گفتمش زينهار!

٢٠- كه من توبه كردم به هستِ تو بر
كه گردِ فضولي نگردم دگر

٢١- كسي را نيايد چنين كار پيش
كه عاقل نشيند پس كار خويش

٢٢- از آن شُنعت اين پند برداشتم
دگر ديده ناديده انگاشتم

٢٣- زبان در كش از عقل داري و هوش
چو سعدي سخن گوي ورنه خموش

الترجمة

حكاية

١ـ قال شيخ ذكي فَطِن / وما أجمل وَقع كلام الشيوخ على الآذان!

٢ - ذهبت إلى هضبة مرتفعة من بلاد الهند / فرأيت رجلاً أسود بليدًا طويلاً كأطول ليالي الشتاء.

٣ - وفي حضنه فتاة كشقّة قمر/تفترّ شفتيها عن أسنان كالدُرّ.

٤ - وقد احتضنها بقوة في تلك الخلوة / حتى تتجسّم أمامك صورة الليل وهو يَغشي النهار.

٥ - وتفجّر في نفسي هوس الامر بالمعروف / وتحوّل الفضول إلى نار ألهبت وجداني.

٦ - رحت أبحث هنا وهناك عن عصا وحجر / (وهجمت عليه وأنا أقول): يا فاقد الخوف من اللّه وعديم الحياء.

٧ - وبالتشنيع والسبّ والضجيج والزجر / فصلت الابيض عن الاسود كالفجر (الذي يتبيّنُ فيه الخيط الاسود من الخيط الابيض).

٨ - وانقشعت تلك السحابة المكفهرّة من فوق الروضة / وظهرت البيضة من تحت الغراب.

٩ - ومن ضجيجي فرّ ذلك الغول العملاق /وهذه الملائكية الجسم تعلّقت بتلابيبي.

١٠ - (وصرخَتْ في وجهي): أيها المتظاهر بالزهد في سجادتك

ولباسك / أيها الدنيء الدنيوي المتاجر بالدين

١١ - لقد قضيت العُمرَ وأنا ولهى مغرمة / بهذا الشخص ونفسي متلهّفة عليه.

١٢ - والآن وقد نضجت أكلتي النيئة / عمدتَ إلى أن تخرجها من فمي وهي حارّة.

١٣ - صاحت متظلّمة، و ولولت وردّدت: / أين ذهبت الشفقة؟! وأين غادرت الرحمة؟!

١٤ - ألا شابٌ شهمٌ / يأخذ بحقّي من هذا العجوز؟!

١٥ - إنه لا يخجل من شيبته / فيمدّ يده إلى ستر امرأة أجنبية عنه.

١٦ - وواصلت الصياح وهي ماسكة بثيابي / وأنا متحيّر من العار الذي يمكن أن يلحق بي

١٧ - وانسلختُ فورًا من ردائي كالثوم (ينسلخ من قشره) / إذ خشيتُ من لوم الشباب والشيوخ.

١٨ - وهربت من أمام المرأة عاريًا / فقد رأيت أن ردائي في يدها أفضل من أن أكون أنا في قبضة يدها.

١٩ - بعد مدّة مرّت بي (تلك المرأة) / (وقالت) أتعرفني ؟ قلت: حاشا الله.

٢٠ - لقد تبت على يدكِ فإنني / لا ألجأ إلى الفضول بعد هذا.

٢١ - لا ينبغي لأحد أن يفعل مثل ذلك / لأن العاقل من يهتم بعمله (ويؤدي مسؤوليته).

٢٢ - ومن هذه الحادثة تعلّمت هذه العظة / وهي إني أغضّ الطرف عمّا ينبغي أن أغضّ عنه.

٢٣ - وإذا كنتَ ذا عقل ورأي وتدبير وذكاء / فقل مثل مايقول سعدي وإلاّ فاسكت.

٦ - روح المواساة مع الناس

وهذه الروح الإنسانية ذكرناها في خطاب سعدي، ونراه يؤكد عليها في قصة قحط أصاب دمشق، فلم يعد أي إنسان يشعر بلذّة العيش أمام ما يعانيه الناس يقول:

حكايت

١ـ چنان قحط شد سالي اندر دمشق — كه ياران فراموش كردند عشق

٢- چنان آسمان بر زمين شد بخيل — كه لب تر نكردند زَرع ونَخيل

٣ – بخوشيد سرچشمه هاي قديم — نماند آب، جز آب چشم يتيم

٤- نبودي بجز آهِ بيوه زني — اگر برشدي دودي از روزني

٥ چو درويش بي برگ ديدم درخت — قوي بازوان سست و درمانده سخت

٦ – نه در كوه سبزي نه درباغ شَخ — ملخ بوستان خورده مردم ملخ

٧ – در آن حال پيش آمدم دوستي — از أو مانده بر استخوان پوستي

٨ – وگرچه به مكنت قوي حال بود — خداوند جاه وزر ومال بود

٩- بدو گفتم: اي يار پاكيزه خوي — چه درماند گي پيشت آمد؟ بگوي

١٠- بخنديد و من كه عقل كجاست؟ — چودانی و پرسي سؤالت خطاست

١١- نبينی كه سختي به غايت رسيد — مشقّت به حدّ نهايت رسيد؟

١٢- نه باران همي آيد از آسمان	نه بر مي رَوَد دودِ فرياد خوان
١٣- بدو گفتم: آخر تورا باک نيست	كُشد زهر جايي كه تریاک نيست
١٤- گر از نيستي ديگري شد هلاک	تورا هست بط را ز طوفان چه بک؟
١٥- نگه كرد رنجيده در من فقيه	نگه كردنِ عالِم اندر سفيه
١٦- كه مَرد اين چه پرسان است طي رفيق	نياساید و دوستانش غريق
١٧- من از بي مُرادي نمي روي زرد	غم بي مُرادان دلم خسته كرد
١٨- نخواهد كه بيند خردمند، ريش	نه بر عضو مردم، نه بر عضو خويش
١٩- يكي اوّل از تندرستان منم	كه ريشي ببينم بلرزد تنم
٢٠- مُنغّص بود عيش آن تندرست	كه باشد به پهلوي رنجور سست
٢١- چو بينم كه درويش مسكين نخورد	به كام اندرم لقمه زهرست ودرد
٢٢- يكي را به زندان بري دوستان	كجا مانَدش عيش در بوستان؟

الترجمة

حكاية

١. لقد أصاب دمشق سنة قحط وجدب / حتى أن الاحبّاء نسوا العشق.

٢ -لقد بخلت السماء على الأرض حتى/ أن الزرع والنخيل لم تبتلَّ شفاهها.

٣ -جفّت العيون القديمة / ولم يبق ماء سوى ماء عين (دموع) اليتيم.

٤ -وإذا ارتفع دخان من نافذة / فليس ذلك سوى آهات الأرامل.

٥ -والاشجار تعرّت كعري المساكين / وارتخت سواعدها وأصابتها المسكنة.

٦ -لا (ترى) في الجبال خضرة ولا في المزارع غصنًا/ فالجراد أكل الزرع والناس أكلوا الجراد.

٧ - في تلك الحال جئت إلى صديق / لم يبق على عظامه سوى الجلد.

٨ - بينما كان قويًا متمكّن الحال / وكان صاحب جاه وثروة ومال.

٩ - قلت له: ياصديقي النجيب / ما الذي دهاك ؟ أخبرني.

١٠ - صاح في وجهي: أين ذهب عقلك؟ / أنت إذ تعلم وتسأل، فسؤالك ليس بصواب.

١١ - ألا ترى أن المصاعب وصلت ذروتها / وأن المشقة قد بلغت نهايتها.

١٢ - لا السماء تنهمر بالمطر / ولا يرتفع (ولا يجدي) صراخ المستصرخين.

١٣ - قلت له: وأنت لماذا حلّ بك ذلك؟ / فالسمّ يقتل حين لا يكون ثمة ترياق. (القحط يقتل من لا يمتلك المال والمتاع).

١٤ – وإذا هلك الآخرون مِنْ فقدان المال / فأنت تمتلك المال، فما خوف البطّ من الطوفان؟

١٥ - وبنظرة ساخطة ألقاها عليّ الفقيه / نظرة عالم يلقيها على سفيه.

١٦ - (قال): وإن كان المرء على الساحل ياصديقي / لا يهنأ

وهويرى أصدقاءه يغرقون.

١٧ - وجهي مصفرّ لا من البؤس / بل إن همّ البؤساء أضنى قلبي.

١٨ - العاقل لا يريد أن يرى جرحًا / لا على أعضاء الناس ولا على أعضائه.

١٩ - أنا واحد من السالمين / إذا رأيت جرحًا (في شخص) يرتجف جسدي.

٢٠ - يتنغّص عيش ذلك السالم / حين يكون إلى جانبه متعبٌ منهك.

٢١ - حين أرى أن الفقير المسكين يفتقد الطعام / فاللقمة في فمى سموم وآلام.

٢٢ - إذا الشخص أقحمتَ أصدقاءه في السجن / فأي لذّة يشعرها وهو في الرياض؟

استنتاج

مما تقدم نفهم أن خطاب سعدي الإنساني ينطلق من روح «الفتوة» التي كانت ينتمي إليها. ولعلّه اختار طريقة السقائين لما ترمز إليه من روح إنسانية، وتواضع إنساني لمساعدة بني البشر في محنهم. وهذا هو جوهر الدين. البذل والعطاء من أجل سعادة البشرية جمعاء.

مشروع دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة

• مصر سباقة في حمل همّ الإحياء • كان المراغي مهيئًا لقبول فكرة التقريب • عبدالمجيد سليم أول من راسل السيد البروجردي • الشيخ شلتوت كان عالمًا مفسرًا أديبًا • أعداد مجلة رسالة الإسلام تشكل سفرًا مهمًا من أدبيات التقريب • لا ينبغي أن نظل على ما أورثتنا إياه عوامل الطائفية والعنصرية من تقاطع وتدابر وسوء ظن • على صعيد الأدب ركزت مجلة رسالة الإسلام القاهرية على أدب أهل البيت لأنه يستثير عاطفة يشترك فيها كل المسلمين • دعت جماعة التقريب إلى النهي عن الخوض فيما لا طائل تحته.

هذا المشروع حقق نجاحًا كبيرًا في مجال الدعوة إلى التقريب، ويعود نجاحه إلى مكان الانطلاق، وإلى الرجال الذين تعاهدوه.

مصر لأسباب تاريخية معروفة تعيش همّ النهضة والإحياء منذ أوائل القرن التاسع عشر؛ ولذلك فإنها مهيئة لاحتضان كل دعوة إحيائية ترسم في الأفق عزّة المسلمين وكرامتهم، وإلى هذا يعود نجاح السيد جمال الدين في دعوته حين حلّ بمصر، وإلى هذا يعود

نجاح الشيخ محمد تقي القمي حين هزته أحداث الطائفية في العالم الإسلامي؛ فيمم وجهه صوب مصر ليجد فيها من يساند دعوته التقريبية، فوجد أرضها سهلاً وعلماءها أهلاً.

وهذا لا يعني طبعًا أن الأرض كانت مفروشة أمام هذه الدعوة بالزهور، بل كانت رواسب الماضي تشكل أشواكًا أدمت أقدام السائرين. يقول السيد عبد الله نجل الشيخ القمي:

«لقد تعرضت هذه الدعوة المؤمنة وقوبلت في مطلعها بهجوم ممن لم تحسن نواياهم بالعداوة والبغضاء ورميت منهم ورمى المقبلون عليها بالتهم والظنون، فمن قائل بأن دار التقريب هذه هي خليقة سياسات استعمارية من صنع الإنجليز تارة، ومن صنع الروس تارة أخرى، ثم من صنع أمريكا في العصر الحالي، حتى لقد ظن البعض في عهد الملك فاروق أن الدار تعمل سرًا لصالح الطائفة الإسماعيلية بقصد إرجاع الحكم الفاطمي إلى مصر!! وأتذكر دائمًا في هذا الخصوص مقولة والدي – رضى الله عنه – بشأن تهمة انتماء الدار إلى الإنجليز؛ حيث كانت (الموضة) السائدة وقتها تقتضي إرجاع أي عمل أو حدث في منطقتنا إلى الإنجليز وتنسبه إليهم قال: »هؤلاء الإنجليز الذين يعملون على التفرقة لو أنهم فكروا في العمل على التقريب فأهلا بهذا الذي يزعمون...«.

لقد أحسن الشيخ القمي اختيار الرجل الأول الذي فاتحه بهمومه في مصر، فقد اتصل أول ما اتصل بالشيخ محمد المراغي شيخ الأزهر الشريف يومئذ، وكان هذا الرجل مهيئًا تمامًا لتقبل

الفكرة، فاقترح على الشيخ القمي أن يدرّس الفلسفة في الأزهر؛ ليوثق علاقاته بشيوخه.

كان الشيخ المراغي خلال كل هذه المدة يبذل الجهد لإنجاح مهمة الشيخ القمي. وكان مما فعله أن عرّف الشيخ القمي بطائفة من العلماء الذين يحملون هموم وحدة المسلمين ونبذ التفرقة بينهم، منهم الشيخ مصطفى عبد الرازق الذي أصبح فيما بعد شيخًا للأزهر، والشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ محمود شلتوت وكلاهما أيضا تولّيا مشيخة الأزهر فيما بعد، والشيخ محمد محمد المدني، والشيخ محمد علي علوبه باشا، ثم اختار الشيخ القمي جمعًا آخر فيهم الشيخ حسن البنا والشيخ عبد العزيز عيسى، والشيخ علي المؤيد من اليمن والسيد الآلوسي نجل صاحب تفسير *روح المعاني*. ومن هذا الجمع تشكلت النواة الأولى لجماعة التقريب، وأقامت هذه الجماعة مؤسسة هي دار التقريب، واتخذت هذه المؤسسة المباركة من بيت الشيخ القمي المتواضع مقرا لأعمالها.

من الشخصيات التي برزت بين جماعة التقريب الشيخ عبد المجيد سليم. كان رجلاً كبيرًا في علمه وإخلاصه. قال عنه الشيخ المراغي: لو كان أبو حنيفة حيًا لما استخلف على مدرسته الفقهية سوى الشيخ عبدالمجيد سليم، لإلمامه الكامل بالفقه الحنفي ولدقته وسعة علمه، ولما كان يمتاز به من صفات نبيلة انتخب لمشيخة الأزهر دورتين.

والشيخ عبد المجيد سليم أول من راسل الإمام آقا حسين

البروجردي في قم، وهي مراسلة هامة للغاية بين أكبر شخصيتين سنية وشيعية آنئذ، وظلت هذه المراسلات تتوالى عن طريق الشيخ القمي أو المسافرين بين مصر وإيران، وكان السيد البروجردي يرد على رسائله بكل إجلال واحترام.

ومن المشاريع التقريبية التي نهض بها الشيخ عبد المجيد سليم إدخال تفسير *مجمع البيان* إلى ساحة العالم الإسلامي. حين اطلع الشيخ على هذا التفسير وجد فيه بغيته، رآه التفسير الذي يجمع بين العمق العلمي، والسعة والشمول والوضوح والمنهجية، والابتعاد عن التعصب، والجمع بين آراء أهل السنة والشيعة. فكتب إلى دار التقريب رسالة يشيد بهذا التفسير ويستحث الجماعة على طباعته. وكتب في مقدمته على هذا التفسير: «هو كتاب جليل الشأن غزير العلم كثير الفوائدن حسن الترتيب لا أحسبني مبالغًا إذا قلت إنه في مقدمة كتب التفسير التي تعد مراجع لعلومه وبحوثه».

وهذا الحث دفع الشيخ محمود شلتوت أن يطالع هذا التفسير بإمعان، فشغف به حبًا، وولع به ولعًا يتضح من المقدمة التاريخة التي دونها لهذا التفسير. تقرر طباعته، وعلى مدى أعوام طبع هذا التفسير أفضل طبعة تتصدرها رسالة الشيخ سليم ومقدمة الشيخ شلتوت.

والشيخ شلتوت كان عالمًا مفسرًا أديبًا عاملا ورث عن أستاذه الشيخ سليم إخلاصه وعلمه وروحه التقريبية، وكان يجلّ أستاذه ويحترمه، ويقوم له في المجلس ويقبل يده.

خص كل جزء من أجزاء مجلة «رسالة الإسلام» بحلقة من التفسير يجمع فيها بين الوضوح والعمق والأصالة والمعاصرة. كان

يكتب بروح الأزهر وبلغة العصر، ثم جمعت هذه الحلقات في كتاب وطبع فيما بعد.

أهم منجزات مشروع دار التقريب في القاهرة:

١ـ إصدار مجلة رسالة الإسلام، هذه المجلة كانت تنشر الفكر التقريبي بين المسلمين، وتجمع العلماء على صعيد الحوار العلمي في مختلف المجالات، كتب فيها كبار علماء الشيعة من أمثال: الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، والشيخ عبد الحليم كاشف الغطاء، والشيخ محمد رضا الشبيبي، والسيد صدر الدين شرف الدين، والسيد هبة الدين الشهرستاني، والشيخ محمد تقي القمي، ومحمد صادق الصدر، وغيرهم، وكبار علماء السنة من أمثال: الشيخ عبد المجيد سليم، والشيخ محمود شلتوت (وكلاهما من أئمة الأزهر وشيوخه)، والشيخ محمد محمد المدني (رئيس تحرير المجلة)، والشيخ محمد أبو زهرة، والدكتور محمد البهي، والأستاذ محمود فياض، والشيخ محمد علي علوبه باشا، والشيخ محمد عبد الله دراز، والشيخ عبد المتعال الصعيدي، والأستاذ فريد وجدي، والأستاذ أحمد أمين، والأستاذ علي عبد الواحد وافي، والأستاذ عباس محمود العقاد، وغيرهم كثير.

صدر العدد الأول من هذه المجلة في ربيع الأول سنة ١٣٦٨ هـ (يناير ١٩٤٩م)، وتواصلت تصدر كل ثلاثة أشهر، وتعثرت في الصدور بعض الأعوام، وصدر عددها الستون والأخير في رمضان

١٣٩٢هـ (أكتوبر ١٩٧٢م) ، ومجموعة ما تضمنته من مقالات ودراسات وأخبار يشكل سفرًا مهمًا من أدبيات التقريب في عالمنا المعاصر؛ إذ أن المجلة انفتحت على كتّاب أهل السنة والشيعة، وانعكست فيها مسيرة دار التقريب، ومسيرة التقريب في العالم الإسلامي.

ومسيرة دار التقريب يمكن تلخيصها يمايلي:

التركيز على المشتركات بين المذاهب الإسلامية في شؤون التفسير والحديث والفقه والأدب، فقد بينت المساحة الواسعة التي يلتقي عليها المسلمون؛ لتأخذ الاختلافات حجمها الطبيعي ولا تتضخم؛ فتسيطر على الأذهان.

فعلى صعيد القرآن الكريم طبعت دار التقريب تفسير *مجمع البيان* لمفسر شيعي هو العلامة الطبرسي بإشارة ـ كما ذكرنا ـ من شيخ الأزهر يومئذ الشيخ مصطفى المراغي، وبمقدمة عظيمة من الشيخ محمود شلتوت جاء فيها:

«وقد يكون في الكتاب بعد هذا مالا أوافق أنا عليه، أو مالا يوافق عليه هؤلاء أو أولئك من قارئيه أو دارسيه، ولكن هذا لا يغض من عظمة هذا البناء الشامخ الذي بناه الطبرسي، فإن هذا شأن المسائل التي تقبل أن تختلف فيها وجهات النظر، فليقرأ المسلمون بعضهم لبعض، وليقبل بعضهم على علم بعض، فإن العلم هنا وهناك، والرأي مشترك، ولم يقصر الله مواهبه على فريق من الناس دون فريق، ولا ينبغي أن نظل على ما أورثتنا إياه عوامل الطائفية والعنصرية من تقاطع وتدابر وسوء ظن، فإن هذه

العوامل مزورة على المسلمين، مسخرة من أعدائهم عن غرض مقصود لم يعد يخفى على أحد أن المسلمين ليسوا أرباب أديان مختلفة، ولا أناجيل مختلفة، وإنما هم أرباب دين واحد، وكتاب واحد، وأصول واحدة، فاذا اختلفوا فإنما هو اختلاف في الرأي مع الرأي، والرواية مع الرواية، والمنهج مع المنهج، وكلهم طلاب الحقيقة المستمدة من كتاب الله، وسنة رسول الله (ص) ، والحكمة ضالتهم جميعًا ينشدونها من أي أفق.

فأول شيء على المسلمين وأوجبه على قادتهم وعلمائهم أن يتبادلوا الثقافة والمعرفة، وأن يقلعوا عن سوء الظن وعن التنابز بالألقاب، والتهاجر بالطعن والسباب، وأن يجعلوا الحق رائدهم، والإنصاف قائدهم، وأن يأخذوا من كل شيء بأحسنه...».

وعلى صعيد الفقه دعت الدار إلى فتح باب الاجتهاد، فالشائع بين أهل السنة سد بابه وتقليد واحد من أئمة المذاهب الأربعة، والشائع عند الشيعة هو فتح باب الاجتهاد. والذي حققته مجلة «رسالة الإسلام» هو أنها بينت على لسان كبار علماء أهل السنة «حرمة التقليد لمن توفرت فيهم شروط الاجتهاد» ، وجواز «تقليد غير الأئمة الأربعة»، ثم صدرت فتوى شيخ الأزهر لتجيز لأهل السنة أن يتعبدوا بمذهب الجعفرية المعروف بمذهب الإمامية الاثنى عشرية، وبذلك انفتح باب التفاهم في مجال الفقه والتشريع على مصراعيه، وتوفر إمكان التوصل إلى تشريع كامل مشترك للحياة الفردية والاجتماعية بين أهل السنة والشيعة في إطار الاجتهاد الصحيح.

وعلى صعيد الأدب ركزت على الأدب الموالي لأهل البيت؛ لأنه يستثير عاطفة يشترك فيها كل المسلمين.

وفي مجال الحديث الشريف والسيرة بدأت دار التقريب بين المذاهب الإسلامية بمشروع كبير، وهو جمع الأحاديث التي اتفق عليها الفريقان في مختلف أبواب الإيمان والعمل والأخبار والأخلاق، تجمع الأحاديث المتفق عليها في كل باب، ويبين مع كل حديث مصدره من كتب السنة ومن كتب الشيعة ودرجته عند كل من الفريقين، وهذا المشروع لم يكتمل في الدار. وعمل على إكماله المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، في إطار مركز البحوث والدراسات التابع للمجمع في مدينة قم.

وبدأت دار التقريب أيضًا بدراسة مشروع إعادة النظر في السيرة النبوية المباركة دراسة منصفة عادلة متثبتة كاملة، ولكنه لم يتحقق أيضًا، وعسى أن يتولى العلماء التقريبيون إنجازه.

وعلى صعيد العقيدة دعت الجماعة أولا إلى النهي عن الخوض فيما لا طائل تحته من أمور العقيدة وعلم الكلام، وفيما لم يكلفنا الله به. وثانيًا ــ آمنت الجماعة في مجال العقيدة أن المختلفين فيها لو حرروا محل النزاع لوجودوا أنهم متفقون، وأن الأمر أيسر وأقرب من أن يتنازعوا فيه هذا التنازع، ويضطربوا في بيدائه هذا الاضطراب.

وعملت الدار على نشر فكرة التقريب على المستوى العالمي. فكان لجماعة التقريب علاقات مع علماء تركيا، وباكستان، وسوريا، ولبنان، واليونسكو، والمملكة العربية السعودية، وكندا.. وربما مع بلدان أخرى لم أستطع رصدها في أخبارها.

دور الإسلام
في التفعيل الحضاري

• الجيل الإسلامي الأول تغيّر مَثَلُه الأعلى تمامًا • الإسلام جعل الإنسان يشعر بأنه محور الكون • الإسلام طوّر داخل الأمة ثقافةً وفّرت له ما تتطلبه الحياة المتحضّرة • التعارف بين الشعوب والقبائل يؤدي إلى استمرار الحركة الثقافية واستمرارها • لا أضرّ على الساحة الإنسانية ممن يحملون روح الحقد والخصام • مسيرة البشرية تطوي مسيرة كمالها • الأخوّة الإنسانية لا تتوفر إلاّ بتخليص البشرية من ظلم الظالمين واستضعاف المستكبرين .

نزل الوحي في بيئة كان مثلها الأعلى القيم القبلية بما فيها من سلبيات وإيجابيات، ولم يكن في هذا المثل الأعلى ما يجعل الإنسان العربي يعيش خارج هموم ذاته وقبيلته.

وجاء الإسلام فوضع أمام الجماعة المسلمة مثلاً أعلى مطلقًا كلّه خير ورحمة وعلم وقدرة وعزة وكرم ودعا إلى السير نحو هذا المثل الأعلى. وكلّ دعوة إلى الله وعبادته والرجوع إليه والفرار إليه والكدح إليه، إنما هي دعوة إلى هذه المسيرة التكامليّة.

وقد يقال إن هذا الفهم لمعنى العبادة والسير إلى الله لم يكن قائمًا في ذهن العربي الذي رافق فجر الدعوة، غير أن واقع حركة

الأمة في الصدر الأول يشهد أنها خرجت من إطار ذاتياتها الفردّية والقبليّة، وأصبحت تحمل رسالة الدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد والتخلّص من عبادة الأوثان كلّها، وتحرير الإنسان من عبودية الطاغوت، والدفاع عن المظلومين والمستضعفين.. والنصوص القرآنية التي تركّز على هذه الآفاق من الدعوة كثيرة، من هنا فإن الجماعة البشريّة التي خوطبت بالدعوة الأولى تغيّر مثلُها الأعلى تغيرًا تامًا، فبعد أن كان الدفاع عن القبيلة ومكانتها أبعدُ مطمح لهذا الإنسان لأفراد القبائل الأخرى، صار مطمح هذا الإنسان أن يُخرج الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن عبادة الطاغوت إلى عبادة الله الواحد الأحد، ومن ظلمات الجهل والخرافة والأوهام إلى نور العلم والحكمة والرُّشد والتفكير، ومن جور الطغاة والمستكبرين إلى العدل والرحمة والمساواة.

هذه الحقيقة تؤيدها حركة تاريخ الأمة الإسلامية بعد ظهور الإسلام كما تؤيدها كثير من النصوص المقدسة في القرآن والسنة وغيرها من النصوص التي وردت على لسان حملة الرسالة في صدرها الأول.

دور الإسلام في التفعيل الثقافي

التفعيل الحضاري يستتبعه تفعيل ثقافي بالضرورة، لأن المجموعة البشرية ـ حين تَخرج من ذاتياتها الضيقة، وحين تزول من أمام مسيرتها المثل العليا السرابية ـ تسلك طريق المثل الأعلى

الحقّ. وهذا المثل الأعلى يفجّر في الإنسان طاقاته الخلاّقة ويدفعُهُ إلى حركة لا نهاية لها في عملية الهدم والبناء، هدم ما يعيق مسيرة التكامل الإنساني من عوائق، وبناء ما ينفع الناس.

ثم إنّ الإسلام قدّم للمجموعة البشرية تصوّرًا عن الإنسان تجعله يشعر بأنه محور الكون، ومحور التشريع الإلهي، وأنه يحمل الأمانة الكبرى.. ولابدّ أن يؤدّي هذه الأمانة بتحمّل مسؤولياته أمام ما أودعت فيه من قوى عقلية وفكريّة تمنحه قدرة الإبداع والتطوير.

وهذا التصور يمنح الإنسان ثقةً بنفسه وبإمكانياته وطاقاته وقدرته على الخلق والابتكار والإبداع.

وهذه الأمة تشكّلت في فترة زمنية قصيرة بفضل عظمة مثلها الأعلى، وتحركت بسرعة على طريق بناء الخير وهدم الشر في الساحة البشرية ولذلك كانت خير أمّة أخرجت للناس: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ...﴾.

وبسرعة مذهلة أيضًا تتناسب مع عظمة الأهداف تطورت في داخل هذه الأمة ثقافة هي مزيج مما كان عند العرب من خصال حسنة وتعاليم جديدة دفعت إنسان الجزيرة العربية إلى الحياة الحضرية وحرّمت عليه أن يعود إلى البداوة، فكان «التعرّب بعد الهجرة» من الكبائر، ووفّرت له ما تتطلبه الحياة الحضريّة من نظام سياسي واقتصادي واجتماعي ودفاعي.

ولعل أهمّ محاور التفعيل الثقافي في التصوّر الإسلامي الانفتاح على الشعوب الأخرى والتعرّف على ما كسبته في مسيرتها الحياتية التاريخيّة من تجارب وأخذ النافع منها المتناسب مع المنظومة الفكرية والعملية الإسلامية.

والشعوب تختلف في مكتسباتها الحياتية باختلاف ظروفها التاريخية والاجتماعية وطبيعتها القومية والجغرافية، بل إن الاختلاف موجود داخل المجموعة البشرية الواحدة، والاختلاف بين الأفراد والجماعات أقرّه الإسلام، بل وجعل هذه التعددية من الأهمية بحيث تستطيع أن تفسّر سبب خلق الناس، لأنها ترتبط بما يتصف به الموجود البشري من إرادة تجعله فريدًا في هذا الكون: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾.

إلى جانب إقرار الإسلام بالتعددّية دعا إلى أن تتعارف المجموعات البشرية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾.

وكما أن تعارف الذكر والأنثى لا يلغي صفة كل منهما؛ بل يجعل من تعارفهما أساس استمرار الحياة البشرية، كذلك تعارف الشعوب والقبائل أو تعارف الثقافات يؤدّي إلى استمرار الحركة الثقافيّة ومواصلة مسيرتها ونمائها.

الموقفُ الإنساني من الآخر

الدعوة الإسلامية موجهة إلى «الناس» والدعوة إلى التعارف موجهة إلى «الناس» والخطاب إلى أتباع الأديان الإلهية الأخرى يدعوهم إلى المشتركات:

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ...﴾، وأسلوب الخطاب مع الآخر يجب أن يكون ﴿... الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾. وأن يكون بأفضل أساليب الإقناع: ﴿... وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ... ﴾، ولا يجوز اتخاذ موقف رافض في الحوار مع الآخر: ... ﴿ وَإِنَّا أو إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدىً أو فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾... وهذه وعشرات النصوص الأخرى تؤكد ضرورة تعامل الإنسان المسلم مع الآخر تعاملاً فيه شعور بالأخوّة والمحبّة والاحترام، فالإنسان موجود كرمه الله: ﴿ولقد كرَّمنا بني...﴾. وكل البشر يشتركون في «الفطرة» التي تجعل الناس بأجمعهم أمام أهداف إنسانية سامية، وتخلق بينهم المشترك الحضاري، ولا أضرّ على الساحة الإنسانية ممّن يحملون روح الحقد والخصام رغم تظاهرهم بالشعارات البرّاقة، ويعيثون – متى ماتوفرت لهم القدرة – في الأرض الفساد، ويهلكون الحرث والنسل، أي يعتدون على نعم الله في الأرض وعلى كرامة البشرية، ولا يمكن أن تدخل البشرية في سلم إلاّ إذا أبعدت عن طريقها الحاقدين المخاصمين، وما أجمل تسلسل الآيات في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ

الْخِصَامِ، وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الْفَسَادَ،)وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْأِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ، يَا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾.

فالبشرية مدعوة إلى الدخول في السلم، وإلى التعامل الذي يحوّل العدوّ إلى وليّ حميم، لكنّ مشكلتها تبقى مع المنافقين الذين يظهرون مالا يبطنون من الحقد، ويصّرون على عنادهم ولجاجهم، وتأخذهم العزّة بالإثم. وهذه هي مشكلة التعايش الآمن بين البشرية في الماضي وفي حاضرنا الراهن وفي المستقبل.

وهذا الذي ﴿يُعجبك قولهُ في الحياة الدُّنيا﴾ مزودّ اليوم بوسائل إعلام ضخمة وأساليب دعاية مدروسة تجعل «قوله» ينطلي على الشعوب المضلَّلة، وهذا أكبر تهديد للأمن والسلام في العالم، لكنّ الأملَ في تقدّم وعي الشعوب تقدّمًا يجعلها تميّز بين الحقّ والباطل، وبين من هو ألدّ الخصام، ومن يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله أي يقدّم كل ما عنده لمسيرة البشرية نحو كمالها المنشود. وهو أمل يقوم على أساس الإيمان بأن مسيرة البشرية تطوي سلّم الكمال رغم تعثّرها وتراجعها في مقاطع من هذا الطريق الطويل.

والإسلام دعا إلى الجهاد بالمال والسلاح والكلمة، من أجل الناس..، وفي سبيل الله لا تعني إلا في سبيل الناس.. فالله لا يناله

ثمرة إنفاق المنفقين ولا نتائج جهاد المجاهدين ، ولا فائدة دعوة الداعين. بل الذي ينتفع من كل ذلك هو الناس. وأقصى نِعَم الله على الناس هو أن ﴿يبدلهم من بعد خوفهم أمنًا﴾ ولذلك يذكّر المسلمين الأوائل بقوله: ﴿... وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ...﴾. وهذه النعمة لا تتوفر إلا بتخليص البشرية من ظلم الظالمين واستضعاف المستكرين: ﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الذينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾.

من المؤسف أن هناك من الزعماء والقادة والعملاء والمتاجرين بالدين وبالقلم في العالم الإسلامي من لم يعرف قدْر الإمام الخميني الذي كان واسطة عقد العزّة على جيد الأمة الإسلامية. فعاملوه بجفاء، واصطدموا به إرضاء لأمريكا وإسرائيل وسائر أعداء الإسلام. وسعوا كالخفافيش لإطفاء نوره: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾. عليهم لعنة الله وسخط المسلمين وأبدية الحسرة، فقد عاملوا خَلَفَ رسول الله(ص) كما عامل أبو جهل وأبو لهب وفرعون وقارون وبلعم باعور وكل أئمة النار، النبيين وأئمة الهدى: ﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾».

الإمام الخامنئي

قصيدة الشيخ أحمد الوائلي
تحت عنوان: «رسالة الشعر»

خاطب فيها مؤتمر الأدباء العرب بغداد عام ١٩٦٥م

• الوائلي في قصيدته يتمنى أن تحقق الأمة الانتصارات وكرامة العيش• التحليق في الماضي إنما هو لوضع المخاطبين أمام مسؤولياتهم • يدعو الشاعر إلى استثارة الجراح المخدّرة • الشعر نار على الظالمين وعامل إنارة نحو المستقبل الأفضل • لو قدمت عقيدة السماء صافية نقية سيفهم الناس أنها هي التي تبني الغد السعيد للإنسان • لمّوا الشباك فطيرنا لا يُخدَع.

هذه القصيدة التي تقرب من مائة بيت ذاع صيتها ورددتها الأفواه، وكأنها جاءت لتعبّر عن مشاعر مكبوتة عند العراقيين بشأن ما ينزل بالعراق وبالعالم العربي والإسلامي من مِحَن.

يبدأها الشاعر بالتعبير عن أمانيه في ما يمكن أن يقدّمه تجمّع الشعراء من عطاء، يتمنى أن تحقق الأمة الانتصارات وكرامة العيش يقول: (الديوان ٤٩ – ٥٥).

لغدٍ سخيّ الفتح ما نتجمَّع ومدًى كريم العيش ما نتوقَّع

ثم يخاطب مهرجان الشعر، ويتحدث عن الرسالة التي يجب أن يحملها الشعر وأصحاب الشعر وهي تتمثل في:

تحمّل الأعباء الثقلية، وتحقيق أماني الأمة ، والريادة في البناء، والإبداع في الفكر. يقول:

يا مهرجان الشِّعر عبئُك مجهد فإذا نهضت به فإنَّك أروع
إنّا نريدك والأماني جسَّدت بك رائدًا يبني وفكرًا يُبدع

ويرى أيضا أن رسالة الشعر إزالة الأحقاد لتخصب وتورق الأرض المجدبة يقول:

أنا إن شذى بك مزهري فلأنَّك اللّحن المحبَّب والنَّشيد الأروع
ولأنَّ أهدافًا توحِّد أو دمًا غمر العروق قرابةً لا تُقطع
بالأمس والحقد اللّئيم يسومنا فيجفُّ في يده الأغضُّ الأينع
فابعث بروح منك في تلعاتنا لترفَّ مجدبةٌ ويُورق بَلقعُ

وتعود به الذكريات إلى الماضي فيرسم في آفاقه ما قدمه المسلمون من عطاء للعالم أجمع، ومن نور بدّد الظلام، ومن حضارة اقترنت بالخُلُق والعفّة والورع، ومن تعامل إنساني مع شعوب البلدان المفتوحة، ثم يعود إلى مخاطبة المؤتمر بأن هذا التحليق في الماضي إنما هو لوضع الشعراء أمام مسؤوليتهم تجاه وطنهم الذي يتعرّض للتمزيق، وتجاه هذه الحواجز التي يبنونها بين أبناء الشعب الواحد:

لسنا بمعهود على أبعادنا يَبس فدنيانا الربيع الممرعُ
أي الكرائم ليس في أعناقها مما نسجناه العقود اللُّمَّع
أم أي وضَّاء وليس بجذره قبس لنا يجلو الظَّلام مشعشع
سُدنا فما ساد الشُّعوب حضارة أسمى ولا خُلُق أعفّ وأورع

قدنا الفتوح فما تشكّي وطأنا ... فكر ولا دين ولا من يتبع
حتَّى الرَّقيق تواضعت أحسابنا ... كرمًا فأولناه مالا يطمع
عفوًا إذا جمح الخيال فلم أجئ ... للأمس أَمري الضّرعَ أو أسترضع
لكنَّها صور جلوت ليُرسم الفجرُ ... المشرِّف والأصيل المفجع
وليستبين الشِّعرُ أيَّ رسالة ... يُدعى لها وبأي أمر يُصدع
يدعى إلى وطن يشظّي خصمه ... أوصاله بيد الهباة، ويقطع
والمبتلي ببنيه في نزواتها ... تعطيه مزرعة لمن لا يزرع
يدعى ليهدم ما بنوه حواجزًا ... ويلمَّ ما قد مزَّقوه ووزَّعوا

والأبيات التالية تصف بأسلوب أدبي رائع جراح الأمة، وخاصة جرحها في فلسطين. ويقول يكفي جراحنا ألمًا أنها تعيش على ذكريات الماضي، وأن الآسي (الطبيب) يلهو بها ومبضع الجراح يسخر منها، ونحن لا نملك أمام هذه الجراح الاّ التغنّي! بنكأ الجراح، ويشير إلى المتاجرين بكرامة الشعوب، وإلى القدس التي لا ترى سوى ضجيجنا، فتصحو على ظاهرة حركة منا، ولكن سرعان ما تتبدل الحركة إلى سراب، والطريق نحوها مليء بالسروج (بالعتاد) ولكن السروج تفتقد الفارس الذي يمتطيها. وعشرون بلدًا عربيًا حرًا لم يستطع أن تقف أمام يد اليهود المغلولة.

ويدعو الشاعر إلى استثارة الجراح المخدّرة، وعدم الاكتفاء بشتم الخَطب وإدانته، بل بالتصدي للخطوب بشجاعة، لأن الجبان يشرب الصدى والمنبع قريب منه (لا يستفيد مما تتوفر لديه من إمكانات). يقول:

يا مهرجان الشِّعر حسب جراحنا ... أنَّ الهـوى ممَّـا تعتِّـق يُكـرع
ولقـد نغـصّ لمـا نقـول بأنَّهـا ... يلهو بها الآسي ويسخر مبضع
غنَّـى بهـا نفـر فـألّم حُزننـا ... إنَّ التَّغنِّـي بـالجراح تتطّـع
ولشدَّ ما يؤذي الكرامة أن نرى ... صوت المساوم بالكرامة يُرفع
هذي رحاب القدس منذ ترنّحت ... صـرعى إلى زعقاتنـا تتسـمَّع
تصحو على نـوء فتتلـع جيـدها ... وتراه من خدع السَّحاب فتهطع
عشرون كفًّا حرة مـا أوقفت ... مهـوى يـدٍ مغلولـة إذ تصـفع
الشَّـوط تغرقـه السّـروج وإنَّـه ... دون السـروجِ لفـارس يتطلّـع
كنا نهبُّ على الزعيق ومذ طغى ... صرنا ننام على الزَّعيق ونهجع
فَـأثِرْ منوَّمـةَ الجـراح وقُـل لهـا ... ثـوري فمـن مثـل الجـراح يُلعلـع
لا تشتمَّن الخطبَ أو تبكـي لـه ... فالخطب ليس بمثل ذلك يُدفع
فلقد شتمنا الرُّزء حتَّى اتخمت ... آذانـه والـرزءُ بـاقٍ مزمـع
لكـن تصـدَّ لـه فـإن أخضـعته ... تحيا وإن خِفتَ الممات ستُخضَع
فالمجد يحتقـر الجبـان لأنَّه ... شـربَ الصَّدى وعلى يديهِ المنبع

ويرتفع الوائلي بمسؤولية الشعر، ويوضّح فهومَه للدور الذي يستطيع أن ينهض به، فبعضهم صوّره بأنه لهو المرفهين ورزق المرتزقين، وبعضهم ارتفع عن هذا المستوى المنحط فصوّره بأنه غناء النفس إن تطرب، ودموعها إن تحزن، وقالوا: ولا يمكن أن نطلب من الشعر أكثر من ذلك، فلا هو بالهادم ولا بالباني ولا بالضار ولا بالنافع، ويرفض ذلك، ويرى أن الشعر أكبر من ذلك بكثير، فهو النار على الظالمين، وهو الجمال الذين يزهو به عنق

الحياة وهو عامل الإحياء والإنارة والقيادة نحو المستقبل الأفضل.

يقول:

قالوا بأنَّ الشَّعر لهو مرفَّه ... وسبيل مرتزق به يتذرَّع
وإذا تساميا به فهو الصَّدى ... للنفس يلبس ما تريد ويخلع
إن تطرب الأرواح فهو غناؤها ... وإذا شجاها الحزن فهو الأدمع
فذروه حيث يعيش غرِّيدًا على ... فَنَنٍ ومُلتاعًا يئنُّ فيوجع
لا تطلبوا منه فما هو بالذي ... يبني ويهدم أو يضرُّ وينفع
أكبرت دور الشِّعر عما صوَّروا ... وعرفت رزءَ الفكر في مَنْ لم يعوا
فالشَّعرُ أجَّج ألف نار وانبرى ... يلوي أنوف الظالمين ويجدع
لو شاء صاغ النَّجم عقدًا ناصعًا ... يزهو به عُنُق أرقّ وأنصع
أو شاء ردَّ الرَّمل من نفحاته ... خَضِلاً بأنفاس الشذى يتضوَّع
أو شاء ردَّ اللَّيل في أسماره ... واحات نور تستشف وتلمع
أو شاء قاد من الشُّعوب كتائبًا ... يعنو لها من كلِّ أفق مطلع
أنا لا أُريد الشِّعر إن جدَّت بنا ... نُوبٌ يُخلِّي ما عناه ويقبع
أو أن يوشِّي الكأس في سَمَر الهوى ... ليُضاء ليلُ المترفين فيسطع
أو أن يُباع فيَشتري إكليله ... تاج من المدح الكذوب مرصَّع
لكن أُريد الشعر وهو بدربنا ... مجد وسيف في الكفاح وأدرع

وتعود به الذكرى إلى بغداد ألف ليلة وليلة حيث ألحان «معبد» وقيان الإغواء فيقول:

بغداد يا زهو الرَّبيع على الرُّبى ... بالعطر تعبق والسَّنا تتلفَّع
يا ألف ليلة ما تزال طيوفها ... سَمَرًا على شطآن دجلة يمتع

يا لحن (معبد) والقيان عيونها وصلٌ كما شاء الهوى وتمنُّع

ويخاطب بغداد قائلاً إن يومك لا يزال يجمع النقائض كأمسِه. وفي انسياب رائع يصف هذه المتناقضات التي يشهدها بلده: القصور اللاهية والأكواخ الباكية، واليد المجرمة المحترمة!! واليد الكريمة المكبّلة! والبراءة المهانة والدناءة المبرّرة! والتمييز بين هذه الفئة وتلك!

ويشير إلى ما يرتكب من هذه الجرائم باسم العروبة، والعروبة أرفع وأسمى. ويطلب فتح العيون على هذه المهازل وما وراءها من أياد متسترة، ويطلب أيضًا عدم التواتي في الحركة وعدم المشي في الطريق مشي الأعرج، وعدم التهيّب من ظلام الطريق يقول:

بغدادُ يومكِ لا يزال كأمسِهِ صورٌ على طرفي نقيض تُجمع
يطغى النَّعيم بجانبٍ وبجانبٍ يطغى الشِّقا فمرفَّهٌ ومضيَّع
في القصر أُغنيةٌ على شفةِ الهوى والكوخُ دمعٌ في المحاجر يلذع
ومن الطّوى جنبَ البيادر صُرَّعٌ وبجنب زقّ أبي نؤاسٍ صُرَّع
ويد تُكبَّل وهي مما يُفتدى ويدٌ تُقبَّل وهي مما يُقطع
وبراءة بيد الطّغاة مهانة ودناءة بيد المبرِّر نصنع
ويصان ذاك لأنَّه من معشرٍ ويضام ذاك لأنَّه لا يركع
كبُرت مفارقةً يمثَّل دورُها باسم العروبة والعروبةُ أرفع
فتبيَّني هذي المهازل واحذري من مثلها فوراء ذلك إصبع
واستلهمي روح الوفود فإنَّها شملٌ يلمُّ وأسرة تتجمَّع

وترسَّمي الرَّكب المغذَّ ولا تني فالرَّكب أتفه ما به مَنْ يظلع
وإذا لمحت على طريقك عتمةً وستلمحين لأنَّ دربك أسفع
شدِّي وهزِّي اللَّيل في جبروته وبعهدتي أنَّ الكواكب تطلع

في الأبيات التالية من القصيدة يقف عند الموجة الشيوعية التي اجتاحت العراق، والتي بنت السموم والأحقاد باسم الإنسانية!! ورفضت الخالق، وصورت المخلوق بأنه «معدة»! لا غير، ويطالب بمقارعة فكرها بالفكر.

ويذكر أن عقيدة السماء لو قدّمت إلى الأمة صافية نقية فإن جياع العقيدة من المنجرّين إلى التيار المادي سيعرفون أن شريعة السماء هي التي تبني الغد السعيد للإنسان يقول:

يا مهرجان الشِّعر مَرَّ بأفقنا وَهَجٌ يفحُّ من السموم ويفزع
بالحقد تسقى ما علمت جذوره وبثوب إنسانية يتبرقع
يمشي إلى الهدف الخدوع ولو على برك الدِّما وغليله لا ينقع
أغرى الخطايا بالنعوت رفيعة ومشى على القيَمِ الكريمة يقذع
فالله وهمٌ والفضيلة كلُّها تَرَفٌ وما رسمت وما تستتبع
ما الفرد إلا معدة وغريزة وسواهما أكذوبة وتصنّع
ومشى بمعصوب العيون يقوده يبكي إذا أوحى له ويرجِّع
سوَّاه من دنسٍ فماتت عنده فِطَر سليمات ولُوِّث منزع
وأسفَّ فاحتضن المسوخ يربُّها حتَّى تعملق في ذراه الضّفدع
حتَّى إذا الطّغيان طاح بأهله وكبا بهِ بغي وأوشك يصرع
ألقى لنا صورًا تعدَّد نعتها لكنَّها تنمى إليه وترجع

فانهد له بالفكر يخضدُ جذره فالفكر ليس بغير فكر يقرع
وأغث جياعَ عقيدةٍ فهُمُ إلى فكر يسدِّد من طعام أجوع
قُدهم إلى نبع السَّماء نِطافه عذب وسائغ ورده لا يُمنعُ
واسلك بهم دربًا أضاء محمد أبعاده وجلاه فهو المهيع
وأنا الضَّمين بأنَّه سيعيدهم ألقًا يمتّ إلى السموِّ وينزع
وسيعرفون بأنَّ ما شرع السَّما يبني الكريم الرَّغد لا ما شرَّعوا

وفي آخر مقطع من قصيدته يبلغ الذروة في توعية المخاطب على ما يحيط بالأمة من مخططات سامّة، ويحذّر من الأراقم (الأفاعي)، ومن الانجرار وراء طبول تُقرع. فأيدي قارعيها ملخطة بدماء العراقيين (ويقصد أيدي البريطانيين بقرينة الأبيات التالية)، إذ يشير بعد ذلك إلى اشتراك العراقيين جميعًا في مقارعة الاحتلال البريطاني، حتى إذا أرسى السفين، وتحقق النصر، حرُمت فئة من أي شيء ونالت فئة كل شيء، في إشارة إلى الأسلوب البريطاني في حرمان الشيعة من استلام مسؤوليات في الدولة. ويقول: إن هذه الخطة كانت بهدف إثارة التفرقة بين السنة والشيعة. ثم يخاطب أولئك الذين يستهدفون قتل الأخوة بين العراقيين قائلاً: لموا الشباكَ فطيرنا لا يُخدع. لإن الكتاب والسنّة غرست روح الإخاء بين المسلمين. يقول:

يا مهرجان الشِّعر إنَّ ثمالةً من كأس غيرك عافها المترفّع
ما آمنت بك غير أنَّ ظروفها تملي ولاءًا بالرِّياء يقنَّع
ولجت حماك وفي الرؤوس مخطَّط وأعيذ قومي من لظاه مروِّع

وهي الَّتي إن أوترت أقواسها ... في غفلة فأنا وأنت المصرع
فتوقَّ أرقمها فلست بواجدٍ ... صِلاّ على طول المدى لا يَلسَع
لا تطربنَّ لطبلها فطبولها ... كانت لغيرك قبل ذلك تَقرع
ما زلت أعرف في يديها من دمي ... عَلَقًا وهل تنسى ضناها المرضع
أيام نقتسِمٌ اللَّظى وصدورنا ... تضرى فيمنحها الوسامَ المدفع
ودماؤنا امتزجت سواه فلم تكن ... فرقًا يصنّفها الهوى وينوِّع
وتعانقت فوق الحراب أضالع ... منَّا فما ميزت هنالك أضلع
حتى إذا أرسى السَّفين وعافه ... نوء زحمنا منكبيه زعزع
عُدنا وبعضٌ للسفين حبالُه ... والبعضُ حُصَّته السَّفينةُ أجمع
ومشت تصنِّفنا يدٌ مسمومة ... مُتسنِّنٌ هذا وذا متشيِّع
يا قاصدي قتل الأخوّة غيلة ... لمُّوا الشَّباك فطيرنا لا يُخدع
غرسَ الإخاء كتابنا ونبيُّنا ... فامتدَّ واشتكبت عليه الأذرع

قراءة في كتاب بحوث

في فقه الحج للشيخ حيدر حب الله

محمد عبدالله المقرب*

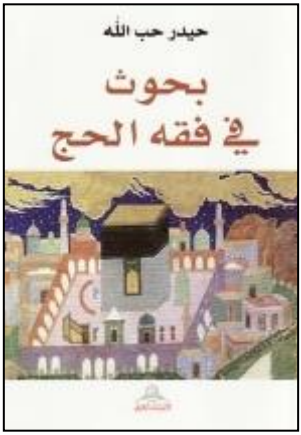

• يجب نشر ثقافة التفقه في الحج لضمان الحج الصحيح • القرآن يركز على ذكر الله في الحج • الحج مركز تلاقي المسلمين وقضاياهم وهمومهم المشتركة • هناك فريق يتبنى نظرية علمنة العبادات، أي إبعادها عن أي دور في الحياة السياسية • الحاجة ماسة لدراسة كثير من مسائل الحج بنظرة متخصصة.

بحوث في *فقه الحج* كتاب صدر عن دار الانتشار العربي لمؤلفه الشيخ حيدر حب الله ، ففي التمهيد الوارد في بداية الكتاب يذكر المؤلف أنه من منطلق الأهمية التي يحظى بها الحج في النصوص الإسلامية يبدو من الضروري أن يكون للفقه الإسلامي دوره في الاهتمام بهذه الفريضة ويجب أن يعطيها الفقه الحجم الذي يتناسب مع موقعيّته فيما بين العبادات التي يقوم

* - كاتب عراقي

عليها الإسلام .

ونتيجة للتحولات الكبرى العالمية على مختلف الصعد ظهرت مستجدات كثيرة تكاد أن تكون أرهقت الفقه الإسلامي وأتعبته عبر فروع حياتية وعلمية عدة كالجانب الاقتصادي والأمني والطبي والذي لم يكن للحج أية عزلة أو فرار من هذه الصعد وبالنتيجة فقد دخل في فقه الحج العديد من المواضيع المستحدثة وظهرت فيه مسائل من نوع تحديث مكان الجمرات والإحرام من الطائرة وغير ذلك من المسائل المستجدة والطارئة في فقه الحج .

كما وجه المؤلف الدعوة للفقهاء والمحققين لتجديد وتوسعة الدراسة وإعداد الأبحاث الفقهية فيما يخص تلك المسائل ، وأشار إلى أهمية أن يعايش الفقيه المناخ الميداني للنصوص الفقهية المتعلقة بالحج ، فلا تكفي الأحكام التجريدية وغير الواقعية الناتجة عن غيابه عن مسرح الأحداث مبينا أن أحد الفقهاء غير رأيه في بعض الموضوعات الفقهية والنتائج الاجتهادية والتي كان توصل إليها بعدما سافر إلى الحج بنفسه لأنه رأى على أرض الواقع بعض المعطيات التي تركت أثرها في تعديل فهمه للنص أو لظروف صدوره .

الحج الفقهي أم الحج الروحي :

يرى المؤلف أنه على ارض الواقع ظاهرتين يرى وجوب تصحيحهما :

الأولى : ظاهرة الأشخاص الذين يشغلون أوقاتهم بالدعاء

والصلاة والتوبة والتطهر ويعيشون معاني الحج الروحانية لكنهم لسبب أو لآخر لا يراعون الأحكام الشرعية للحج مما يوجب في بعض الأحيان بطلان حجهم أو يترتب عليهم كفارات شرعية يجب أداؤها ، من هنا وجب نشر ثقافة التفقه في الحج لضمان الحج الصحيح .

الثانية : هناك من يفرط في متابعة الجانب الفقهي لقضايا الحج حتى تراه يغيب عن روح الحج وعن رسالته المعنوية الكبرى وهو يشبه ما يتحدث عنه علماء الأخلاق والعرفان عن الاستغراق في مسائل تجويد القرآن والاهتمام بمخارج الحروف في الصلاة على حساب حضور القلب . بينما القرآن الكريم يركز على ذكر الله تعالى في الحج كذكر الآباء أو أشد ذكرًا ومن هنا تأتي ضرورة إعادة ترتيب البحث الفقهي والرسالة العملية بما يخدم مقاصد الحج ورسالته المعنوية الكبرى .

وعن فقه الحج القرآني أشار إلى حاجة تكوين ثقافة قرآنية حجية مهيمنة تحرك رؤية الفقيه لأحكام الحج وتكوين بحث موضوعي متكامل يكون الصورة القرآنية لهذه الفريضة العظيمة.

فقه الحج المقارن ، خطوة عملية للتقريب الإسلامي

يأمل المؤلف أن يتنامى الفقه المقارن وتتعرف الأوساط الإسلامية ببعضها ، سيما الوسط السني بالفقه الإمامي شبه المغيب فيه ، وفي الحج تبدو هذه القضية بالغة الأهمية جدًا ، لأن الحج مركز تلاقي المسلمين جميعًا وقضاياهم وهمومهم

مشتركة ، وفرض المؤلف تشكيل لجان مشتركة من فقهاء المذاهب الثمانية كافة لتدارس كل مستجد في فقه الحج أو طارئ ينزل بدل أن ينفرد هذا المذهب أو ذاك بهذه القضية مع إعطاء الحق للدولة في أن تكون لها صلاحياتها الراجعة للتنظيم ورفع الفوضى والاضطراب .

السياسة وفقه الحج

هل السياسة بعيدة عن الحج وفقهه وقضاياه ؟ وهل يفترض بحق تحييد الحج عن قضايا السياسة ؟ وهل يلعب الحج دورًا في الحياة السياسية ؟

عن هذه الأسئلة أوضح المؤلف، اتجاهات فقهاء المسلمين حول هذه القضية التي التبس فيها الأمر وبين رأي الفريق الذي يتبنى نظرية علمنة العبادات وأبان ملاحظاته على نظرية علمنة العبادات الدينية التي ترى أن الفقه الإسلامي يقدم العبادات معلمنة خالية من أي علاقة أو دور في الحياة السياسية العامة . كما أبان النظرية الأخرى التي ترى أن للعبادات وجهين أحدهما روحي غيبي في اتصاله مع الله سبحانه وتعالى وثانيها اجتماعي سياسي في علاقته بالخلق وانه لا يصح تجاهل أحد الوجهين لصالح الآخر ، بل يفترض إيجاد التوازن بينهما .

وأشار إلى ما ذكرته السيرة النبوية كيف لم ينأى الرسول(ص) عن إقحام القضايا السياسية في الحج ، فلم يقل : إن الناس في حج ، ولا ينبغي في أثناء العبادات أن نعلن البراءة من المشركين بل أرسل عليًا (ع) ليعلن هذا القرار السياسي الهام جدًا

والذي أمره به القرآن الكريم في مطلع سورة التوبة ، وأوضح أن عملية البراءة ومع ما يوجد من اختلاف في حيثياتها إلا أنه لا ينبغي اعتماد أي آلية تساهم في خرق الصف الإسلامي .

فصول الكتاب :

الفصل الأول :

جاء الفصل الأول من الكتاب تحت عنوان (حدود الطواف.. دراسة فقهية استدلالية مقارنة) وقد تناول فيه سبرًا تاريخيًا فقهيًا ومن ضمن ما أوضح فيه مشهور الإمامية إلى ضرورة وقوع الطواف الواجب بين البيت ومقام إبراهيم (ع) الذي ادعى بعض الفقهاء الإجماع حول هذه الجزئية وقد أورد المؤلف بعض قوال العلماء التي تنافي هذا الإجماع أو تؤيده في مقام الفتوى أو الاحتياط .

وفي رحاب هذه المسألة ذكر أيضا رأي أبرز الفقهاء السنة كالإمام الشافعي الذي يرى أن المسجد كله موضع للطواف والإمام الغزالي الذي يرى وجوب الطواف داخل المسجد وعدم جوازه خارجًا واستعرض الدراسة التي قدمها الدكتور وهبة الزحيلي الذي ذكر موقف المذاهب الأربعة في كتابه الفقه الإسلامي وأدلته .

كذلك ناقش الآراء التي توضح مكان المقام المختلف بشأنه تاريخيا .

الفصل الثاني :

تناول فيه (فقه الجدال في الحج) ، فمن المعروف أن من جملة

تروك الإحرام في الحج (الجدال) وقد أوضح أدلة حرمته قرآنيًا ، ثم بين مفهوم الجدال المحرم ، وشرح مستند نظرية التفسير اللغوي للجدال ومستند نظرية التفسير الشرعي للجدال ونظرية الجدال بالمعنى الأخص . وكان من ضمن نقاشه حول الجدال ما تبناه بعض الفقهاء أن أحكام الجدال من محرمات الإحرام الخاصة بالرجال وليس مشتركا بين الرجال والنساء ، وقد أوضح في نقاشه عمومية الحكم لا تخصيصه ومن جملة ما ناقشه جزئية اشتراط الجدال بالعربية وعدمه وكذلك اشتراط المعصية في الجدال المحرم وعدمه .

الفصل الثالث :

عنون المؤلف هذا الفصل بـ (فقه التظليل ..معالجة استدلالية لقضايا التظليل في الحج) وقد تناول المؤلف فيه فقه التظليل المتشعب الفروع وكثرة الابتلاء به ، وناقش أدلة القول بحرمة التظليل للمحرم والتي قسمها إلى :

١ -الدليل الأول الروايات الصحيحة وقد أورد سبعة عشر رواية عن أهل البيت (ع) وقد ناقشها من عدة زوايا وأوضح بعض المفاهيم الواردة فيها .

٢ -الدليل الثاني هو التمسك بالإجماع والشهرة وأوضح أن هناك من خالفه كالسبزواري وابن الجنيد ، إلا أنه بعد إيرادها ومناقشتها يرى الشيخ حب الله أنه لا مجال للاستدلال بالإجماع على الحرمة منها .

٣ - الدليل الثالث التمسك بطريقة الاحتياط إذ مع عدم الستر يصح بلا خلاف ومعه فيه خلاف ، لكن الاحتياط فرع فقدان الأدلة ، وقد يتبين وجودها ومعه فلا حاجة بل لا مبرر للاستدلال به .

ثم يذكر المؤلف أنه في مقابل أدلة التحريم هناك أدلة أخرى على الجواز أبرزها ما ذكره المحقق النجفي في *جواهر الكلام* وما ذكره النووي في *كتاب المجموع* من أن التظليل لا يعد لبسًا فلا يحرم على المحرم ، وأورد أيضًا عدة روايات يستفاد منها جواز التظليل وإن اشترطت بعضها عند وجود العذر الكفارة . كما أبان عدة محاولات في التوفيق بين النصوص أولها حمل بعض أخبار الجواز على التقية لكونها توافق أهل السنة فتبقى أدلة الحرمة سالمة معمولا بها وقد أجاب على هذه الإشكالية . أما المحاولة الثانية وهي حمل أخبار المنع على الأفضلية ، وقد أيد السبزواري في ذخيرة المعاد ذلك بأن النهي غير واضح الدلالة على التحريم في روايات أهل البيت (ع) .وأجاب أيضا على الإشكالية الثانية . أما المحاولة الثالثة التي يحمل أصحابها أخبار المنع على صورة ظاهرة التظليل المساوقة لمظاهر الترف والدعة والرفاهية الزائدة عن الحد المتعارف اجتماعيا ومن ثم تكون أخبار الجواز في محلها ، وقد عقب على هذا القول بأنه لا ينسجم مع جميع النصوص .

وحول مبدأ حرمة التظليل لخص المؤلف الأمر في نظريتين رئيستين في حكم التظليل من حيث المبدأ فالأولى منهما ترى حرمته مطلقًا على المحرم أما النظرية الأخرى لا تعتقد بالحرمة

بشكلها المثار في النظرية الأولى وإنما تحاول تضييق دائرة التحريم وتحديدها .

وحول اختصاص حرمة التظليل بالرجال يذكر أن الفقهاء اتفقت كلماتهم على اختصاص هذا الحكم بالرجال وعدم شموله للنساء ، كما نقرأ في هذا الفصل أيضا :

١ -اختصاص حرمة التظليل بالقادر غير المضطر.

٢ -اشتراط السير في حرمة التظليل

٣ -الحكم في السفينة والقطار

٤ -الاستظلال من أحد الجانبين وأدلة الترخيص والحظر في الاستظلال الجانبي .

٥ -عدم شمول التظليل لغير الشمس والنهار .

٦ -دراسة في معنى الظل في اللغة العربية .

٧ -شمول حرمة التظليل للراكب والراجل .

٨ -عدم شمول الساتر للثابت .

٩ -الستر بما لا يمنع من شعاع الشمس .

الفصل الرابع :

جاء هذا الفصل تحت عنوان (فقه الرمي في الحج ..مطالعة استدلالية لنظريات جديدة) ، وقد استهل المؤلف هذا الفصل بالناحية التاريخية للجمرات وتحديد هويتها وقد ناقش أيضًا :

١ - نظرية كون الجمرات أعمدة وقد ساق لها أدلة وشواهد .

٢ -دراسة في أدلة ومستندات كون نظرية كون الجمرات هي الأرض ومجمع الحصى .

٣ -دراسة لغوية في كلمة الجمرة .

٤ -ماهية المرمى الشرعي وختم بحثه بنتيجة أفاد فيها أنه لا دليل أمامه يثبت طبيعة الجمرة تاريخيا بشكل جازم وإن كان هناك ما يفيد أنها العمود أو أنها الأرض .

الفصل الخامس :

جاء هذا الفصل تحت عنوان (الذكر في الحج ، هل ذكر الله في المشاعر واجب أم مستحب) وقد ساق فيه :

١ -نظرية وجوب الدعاء في عرفة ساردًا أدلة هذه النظرية ومناقشتها .

٢ -نظرية وجوب الذكر في المشعر الحرام .

٣ -نظرية وجوب التكبير في أيام التشريق .

ثم أبان تصوراته حول نظرية وجوب الذكر الكثير في الحج . وختم بحثه بماهية الذكر الواجب وما يمكن قوله فيه ، وهل المقصود بالذكر التلفظ اللساني أو الحضور القلبي وعما إذا كان تركه يوجب الإخلال بالحج ، وأشار إلى وجود روايات تدل على عدم بطلان الحج بترك الذكر .

الفصل السادس والأخير :

وجاء هذا الفصل تحت عنوان (نظرية الترابط بين الأفعال .. استعراض لنماذج في باب الحج) واستعرض فيه بعض النماذج التي تخضع لنظرية الترابط بين الأفعال موضحا أهمية دراسة العلاقة بين إنجاز الواجب وإنجاز المستحبات وكذلك بين ترك المكروهات وترك المحرمات ، فهو يقول « قد يفضي فعلا نقوم به يكون واجبًا إلى ترك مستحب ، وقد يفضي فعل المستحب إلى ترك الآخرين للواجب أو العكس وهكذا في باب المحرمات والمكروهات مما يستدعي دراسة أوجه العلاقة والارتباط بين هذه الإنجازات المتنوعة» وأبان المؤلف أيضًا عدم إفراد الأصوليين والفقهاء بحثًا مستقلاً لدراسة طبيعة علاقة الأفعال بعضها ببعض، إلا أن أغلب هذه الصور معلوم قواعديا في كلماتهم يمكن التعرف عليه بتحليل نظرياتهم في أصول الفقه وفي الفقه أيضا .كذلك في إطار دراسته هذه بحث :

١ -الترابط بين أفعال المكلف نفسه .

٢ -الترابط بين أفعال المكلفين مع بعضهم .

٣ -نظرية ترابط الأفعال ودورها في الربط بين الفقه الفردي والمجتمعي .

وختم الكتاب بكلمة أخيرة أوضح فيها أنه هناك بعض الملفات البحثية في الفقه الإسلامي تحتاج لإعادة البحث المركز لا سيما في ضوء النصوص القرآنية ، فبحث فقه الجدال في الحج يرشد إلى معطيات النص القرآني في هذا المجال بوصفه مصدرًا تشريعيًا مقدمًا على السنة الشريفة بأحد معاني التقديم . كما دعا لمزيد من الأقلام المتخصصة لدراسة كثير من مسائل الحج.